يا شيعة العالم استيقظوا

الإمام الدكتور

موسى الموسوي

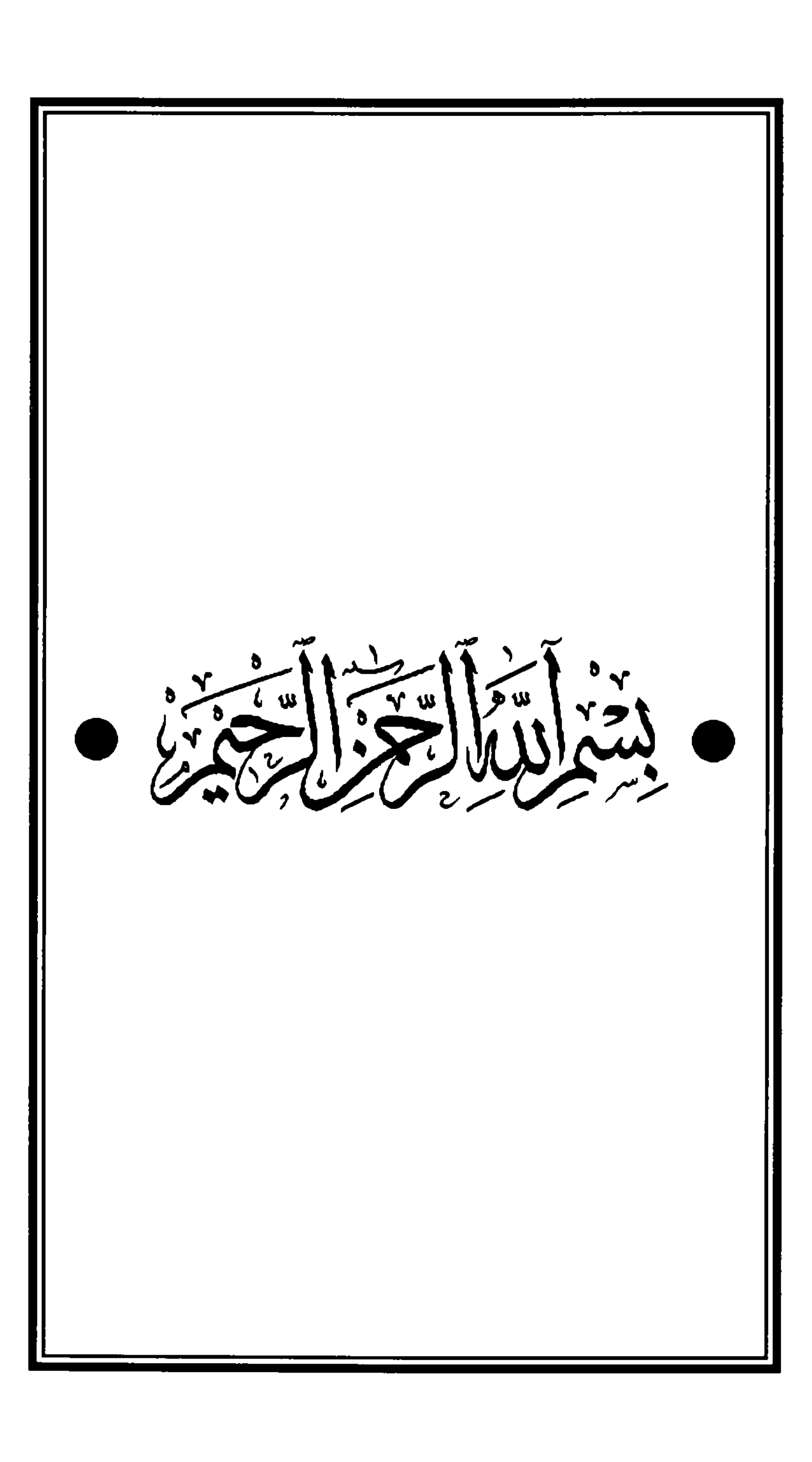
بسم الله الرحمن الرحيم

يا شيعة العالم استيقظوا

■ ■ ■

صفحة

بسم الله
الذي إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وأهل بيته وصحبه والتابعين بإحسان

يا شيعة العالم استيقظوا

■■■

كان (سنوحي) طبيباً للفرعـون أمفسيس الذي عاش في القرن العاشر قبل الميـلاد، وقد كتب مـذكـراته عن حيـاة هـذا الفرعـون وعن الشعب المصري الذي كـان يعاني استبداد أمفسيس. واكتشف علماء الآثـار هذه المذكـرات ضمن مـا خلفته السنـون بين الكتب الهيروغليفيـة، وتـرجمت مذكرات هذا الطبيب التي كتبها بأسلـوب رائع وبديع إلى اللغات العالمية الحية وطبعت أكثر من مرة وهي الآن بين أيـدينا يستطيع القراء قراءتها كل بلغته واستخلاص دروس العجب منها.

يقول (سنوحي) في مذكراته:

«كنت أمشي في شارع من شـوارع مصر وإذا بالرجل الـوجيه الشريف الثري المعـروف (اخناتون) ملقى على الأرض مضرجـاً بدمـائه وقد قطعت يداه ورجلاه من خلاف وجدعت أنفـه وليس في بدنه مكان إلا وفيه طعنة رمح أو ضربة سوط وهو قاب قوسين أو أدنى من الموت، فحملته إلى دار المرضى وجاهـدت جهاداً عظيماً لإنقاذه من الموت وبعد شهـرين أو أكثر وعندما أفاق من غيبوبته قص عليَّ قصّته المحزنة المفجعة قائلاً:

لقد أمرني الفرعون أمفسيس أن أتنازل له عن كل شبر أرض أملكه وأن أهبه أزواجي وعبيدي وكل مـا أملك من ذهب وفضة، فاستجبت لما أراد

بشرط أن يترك لي داري التي أسكن فيها ومعشار ما أملكه من الذهب والفضة لأستعين بها على أودي، فاستثقل فرعون هذا الشرط واستولى على كل ما كان عندي، ثم أمر بأن يفعل بي تلك الأفاعيل الشنيعة وأن أطرح في الشارع عارياً لأكون عبرة لمن يخالف أوامر الإله (أمفسيس).

ودارت الأيام و إخناتون المسكين يعاني الفقر والحرمان وكل أمله في هذه الدنيا هو القصاص من الفرعون الظالم ولو على يد غيره.

ومات الفرعون وحضرت مراسيم الوفاة بصفتي كبير الأطباء، فكان الكهنة يلقون خطب الوداع مطرين الراحل العظيم وكانت الكلمات التي يرددونها لا زلت أتذكرها جيداً، فقد كانوا يقولون (يا شعب مصر، لقد فقدت الأرض والسماء وما بينهما قلباً كبيراً كان يحب مصر وما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجماد. كان للأيتام أباً وللفقراء عوناً وللشعب أخاً ولمصر مجداً. كان أعدل الآلهة وأرحمهم وأكثرهم حبًّا لشعب مصر. ذهب أمفسيس لكي ينضم إلى الآلهة الكبار وترك الشعب في ظلام).

ويضيف (سنوحي):

وبينما كنت أصغي إلى كلام الكهنة ودجلهم في القول وأندب حظ مصر وشعبها المسكين الذي يرزح تحت سياط الفراعنة والكهنة معاً، وبينما كانت الجماهير المحتشدة التي لقي كل فرد منهم على حدة من بطش فرعون وسياطه أذى وعذاباً تجهش بالبكاء: سمعت رجلاً يبكي كما تبكي الثكلى وصوت بكائه علا الأصوات كلها ويردد عبارات غير مفهومة، فنظرت مليًّا وإذا صاحب البكاء هذا هو إخناتون المعوق العاجز الذي كان مشدوداً على ظهر حمار وأسرعت إليه لأهدئه بعض الشيء، فقد ظننت أنه يبكي سروراً وابتهاجاً على وفاة ظالم ظلمه إلى حد الموت بالتعذيب، ولكن إخناتون خيب آمالي عندما وقع نظره عليَّ وأخذ

يصرخ عالياً بقوله :

(يا سنوحي لم أكن أعلم أن أمفسيس كان عادلاً وعظيماً وباراً بشعبه إلى هذه المرتبة العظيمة إلا بعد أن سمعت ما قاله كهنتنا فيه . وها أنا أبكي يا سنوحي لأنني حملت في قلبي حقداً على هذا الإله العظيم بدلاً من الحب والإجلال طوال سنوات عديدة، حقًّا لقد كنت في ضلال كبير) .

ويقول (سنوحي) : وعندما كان إخناتون يكرر هذه الكلمات بإيمان راسخ كنت أنظر إلى أعضائه المقطوعة وصورته المشوهة وأنا حائر فيما أسمع وكأنه قرأ ما يدور في خلدي وإذا به يصرخ فيّ بملء شدقيه :

(لقد كان أمفسيس على حق فيما فعله بي لأنني لم أستجب إلى أوامر الآلهة وهذا هو جزاء كل من يعصي الإله الذي خلقه وأحبه، وأي سعادة أعظم للمرء من أن ينال جزاء أعماله الذي يستحق على يد الإله لا على يد غيره) .

من أمفسيس هذا؟

فرعون من فراعنة مصر، حكمها بالنار والحديد طوال عشر سنوات، دخل في حرب خاسرة مع بلاد النوبة الجارة، قتل فيها خمس شعب مصر، خرب المزارع وقطع الأشجار وأباد شباب مصر متهماً إياهم بالهزيمة في الحرب التي شنها ضد النوبة، أحرق العاصمة في إحدى ليالي مجونه كما فعل بعده نيرون بسبعة قرون الذي أحرق روما عاصمة الرومان، لقد كان عهد أمفسيس أسوأ عهد عرفته مصر في تاريخ الفراعنة الذين حكموها مبتدئاً من الأسرة الأولى حتى الأسرة الخامسة التي كان أمفسيس أول أفرادها .

مـات أمفسيس وترك خـراباً شـاملاً وشعبـاً ممزقـاً ومع كل هذا بكتـه الجماهير المحتشـدة متأثـرة برثـاء الكهنـة وخطبهم ومن بين تلك الجماهير إخناتون المسكين .

التاريخ يعيد نفسه

في يـوم الإثنين السابع مـن شهر حـزيـران عام ألف وتسعمائة وتسعـة وثمانين أعاد التاريخ نفسه ، فلقد شاهـد العالم على شاشات التلفزة ما رآه سنـوحي الطبيب قبل ثـلاثـة آلاف عـام ، لقد رأى العـالم ستـة مـلايين إخناتون يشيعـون الولي الفقيه في طهران وهم في حالـة حزن وبكاء لا تقل عما كان عليه إخنـاتون وغير إخناتون ، لقد كان الفـرق بين ما رآه سنوحي قبل ثلاثـة آلاف عام ومـا رآه العالم في يوم السـابع من حزيـران عام ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين هي الفروق الآتية :

١ ـ فرق في المكان والزمان .

٢ ـ زيادة في عدد المشاركين في الموكب الجنائزي .

٣ ـ المتوفى هو كبير الفقهاء بدلاً من كبير الآلهة .

٤ ـ الخطباء هم آيات الله بدلاً من الكهنة .

٥ ـ المديح والثنـاء كـان يخص آية الله بـدلاً من الإلـه نفسـه . ولكن المضامين نفسها والمحتوى عينه والجماهير المحتشـدة الحزينة كانت مصابة بأفجع الفجـائع بمثل مـا أصيب بـه شعـب مصر من قبل ولكن بأوامـر آيات الله بدلاً من أوامر الإله نفسه .

وما عدا هذه الفروق فما أشبه اليوم بالأمس والليلة بالبارحة .

حقًّـا إنها لمأسـاة كبرى في عصر النـور والحضـارة أن يصل التخلف

الفكـري في مجتمعنـا، نحن الشيعـة الإمـاميـة، إلى هـذه المرحلـة من الانحطاط والتـدني، وهذا هـو الذي حملني على كتابـة هذا النـداء، وها أنـذا لن أدع على الأرض شيعيًّا واحـدًا إلا وأسمعـه مـا أود قـولـه في الصفحات الآتيات.

لقد عـرفنا قبل قليل من هو أمفسيس، وعلينا أن نعـرف الآن من هو الفقيه الراحل.

كان الفقيـه الراحل قد حكم الشيعـة في إيران عشر سنوات كـاملات بالنار والحديد، أعدم من الذين وقفوا ضد رغباته مائة وخمسين ألفاً.

شرد من الشيعة ثلاثة ملايين وهم مشردون في آفاق الأرض.

حرم خمسين مليـوناً من الشيعـة الإمامية الإثنـا عشرية من حق تقـرير المصير والحرية الفكرية والسياسية والاجتماعية.

أفقر الشيعة في إيران إلى درجة لم يسبق لها مثيل.

شن حربـاً ضد الشيعة وغير الشيعة في العـراق استمرت ثماني سنوات قتل فيها مـا يقارب المليون. مـات وفي أسره مائة ألف شيعي ضن عليهم بالحريـة و إطلاق أسرهـم، وترك وصية عـدوانية هي الفـريدة في تـاريخ الـوصايـا من سوء التعبير وبـذيء الكـلام. وأمر بـالخلاف والتفرقـة بين المسلمين. لقد مات هذا الفقيـه وشيّعته الجماهير في حزن وبكاء. (وكثير من الذين كـانوا في الموكب الجنائزي وهم يصرخون وينـدبون على راحلهم كانوا قد أصـابتهم من النكبة وسوء المعاملة من قبل هـذا الفقيه الراحل ما قد أصاب إخناتون من قبل على يد الراحل أمفسيس).

إننا في الصفحـات الآتيات نضع النقـاط على الحروف ونبين الأسباب التي أدت إلى هـذا التخلف الفكـري الـذي نتج عنـه استعبادنـا على يـد

الفقهاء والمجتهدين الذين استبدوا بنا نحن الشيعة الإمامية منذ ألف ومائتي عام، وكثير منا لم يدرك ولم يشعر بما حل به من الويلات والبليات على يد الفقهاء الحاكمين بل يراها عطية إلهية كما رأى إخناتون من قبل، ولكي ينتهي هذا البحث إلى النتيجة التي أريدها لا بد من أن أعرض أفكاري بصورة منتظمة ومرقمة كي لا تختلط إحداها بالأخرى ولكي نستخلص بعد ذلك من مجموعها النتيجة التي أود قولها في هذا النداء.

(١)

منذ عدة سنوات وأنا أنادي الشيعة بالاستيقاظ على ضوء التصحيح الذي ناديت به في كتابي (الشيعة والتصحيح) وكتابي (عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عهد الأئمة وبعدهم) والذي جعلت له اسمًا آخر وهو (الصرخة الكبرى). لقد أثبت في هذين الكتابين أن التصحيح هو الطريق الوحيد لإنقاذ الشيعة من الحالة (الإخناتونية) التي تعيش فيها، وهو على وجه الحصر العودة إلى المذهب النقي الصافي الوضاء المتلألئ الذي يمثل فقه الإمام الصادق على ضوء كتاب الله وسنة رسوله. ولم يكن الغرض من التصحيح إلا خلاص الشيعة من المحنة التي تعيش فيها فكريًّا ونفسيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، ولا يمكن الحصول على كل هذه المكاسب إلا بنبذ الانحراف والبدع والتجاويف والتجاعيد التي أدخلت في عقيدتنا النقية الصافية على يد بعض زعماء المذهب وولاة الفقه عبر التاريخ.

لقد عانينا نحن الشيعة الإمامية عبر القرون على يد هذه الفئة ـ التي كان من المفروض أن تكون الصفوة المختارة ـ بلاء وعناء وكرباً ليس له مثيل.

إن حال الشيعة في إيران إذا صلحت فإن حال الشيعة ستصلح في

بلاد أخرى . فمأساة الشيعة مرتبطة بعضها ببعض ، وكلها تنبع من الانقياد الفكري للطبقة التي نسميهم بالفقهاء أو المجتهدين .

لقد كنت أعتقد أن مأساتنا نحن الشيعة الإمامية ليست مأساة حكم وسياسة ورجال يحكمون بل مأساة تنبع من أنفسنا بسبب خضوعنا وقبولنا للبدع التي أدخلت في عقيدتنا واستغلها رجال الفقه لتثبيت حكمهم وسيادتهم ونحن بكل ما يقولون مطيعون ومنقادون ، ومن هنا أود أن أكون صريحاً في العمل الذي نحن من ورائه . ولإثبات أن مأساتنا نحن الشيعة الإمامية تنبع من الأكثرية لا من الأقلية . فنحن نرى ونعلم أن دعاة التحرر السياسي والوطني يلقون ترحيباً كبيراً وتجاوباً سريعاً من قبل الشعوب المضطهدة التي يريدون تحريرها وستنضم هذه الفئات السياسية المضطهدة إلى قادة الحركة أو تجتمع تحت لوائهم وهي تريد التحرير، ولكن الصعوبة كل الصعوبة تواجه قادة الفكر من الذين وقفوا ضد الأوهام والخزعبلات والأساطير، وحاربوا السلطة العقدية التي بنيت دعائمها على تلك الخزعبلات والبدع والضلالات . فهؤلاء القادة يواجهون تعنتاً من قبل الفئات المستعمرة فكريًّا والمستثمرة نفسيًّا أكثر مما يواجهونه من زعمائهم .

وخلاصة الكلام أنك عندما تدعو أمة للاستنفار والخلاص من حكم المستعمر السياسي فكلهم يمشون وراءك ويلبون نداءك لكي يبلغوا الحرية ويستعيدوا الاستقلال السياسي الذي أفقدهم إياه الطاغية ، ولكنك إذا دعوت الأمة للخلاص من الاستعمار الفكري والاستبداد العقدي الذي هو أشد وأنكى من الاستبداد السياسي فقد تعارضك الأكثرية وتقف في وجهك وهي تحاربك وتقول لا للمخلص الذي يريد خلاصهم من محنة كتبوها هم على أنفسهم وليس للقضاء الإلهي فيه من رأي .

ومن هنا فإنّ خطابي موجه للشيعة الإمامية ولتلك الطبقة التي شيعت ولي الفقيه إلى مثـواه الأخير بالدموع والصراخ وكل منهم في جبينـه أو قلبه جرح و إيلام من الفقيد نفسه .

(٢)

إنني أعلم مسبقاً ويجب علي أن أشير إليه بـوضوح أن من السهل على نظام يحكم خمسين مليوناً من الشيعة بالنار والحديد طيلة عشر سنوات أن يخرج منهم إلى الشـوارع بضعة مـلايين عندمـا تـدعو الحاجـة إلى ذلك ، فعندمـا تكون مقـدرات الأمة كلها بيـد النظام أكـلاً وشرباً ولبسـاً وحياة ومماتاً فلا يصعب على نظام كهذا أن يرسل إلى الميادين أعداداً غفيرة يأمرها بالهتاف والصرخات المعدة من قبل .

لقد شهدنا في النصف الأخير من هـذا القرن مواكب جنائزية كبرى ، فقد شهـدنا ثمانيـة ملايين مصري يشيعـون الرئيس الـراحل عبـد الناصر ببكاء ودموع ، وشهدنا حماساً أكثر ودموعاً أشد من قبل بضعة ملايين من الشعب نفسه وهم يشيعون المغنية الكبيرة السيدة أم كلثوم ، ولكن السؤال الذي أسأله أن الذين شيعوا عبـد الناصر شيعوه احتراماً والذين شيعوا أم كلثوم شيعـوها حبـاً ولكن الذين شيعوا الإمـام الراحل ولي الفقيـه شيعوه لماذا؟

وصحيح كما قلنا أن النظام الحاكم على الشيعـة في إيران كان بمقدوره أن يخرج إلى الشوارع الملايين ولكـن الذي شاهـدناه لم يكن كلـه بتخطيط من النظام بل كان بين الجماهير ملايين هم مؤمنون بولاية الفقيه ومعتقدون بكل ما نجم عنها من خير وشر.

هـذا هو الـذي دعاني إلى أن أنـادي الشيعة بهذا النـداء وأقول لهم يـا شيعة العالم استيقظوا .

(٣)

وعندمـا أدعو إلى استيقـاظ الشيعة الإمـامية أرى لـزاماً عليَّ أن أوضح أموراً لا بـد من توضيحهـا كي تعرف الشيعـة في العالم مـدى المحنة التي عـانتهـا على يـد الفقهـاء عبر التـاريخ . ولا بـد هنـا أن أسلك الطـريق السقـراطي وأضع أسئلـة محددة حتى يكـون الجواب عليهـا هـو الجواب الموضح الـذي يضمن الغرض الـذي أصبو إليـه ، والأسئلة التي جـوابها يكشف الحقائق على وجه التحديد :

(١) لماذا ألزمنا نحن الشيعة الإمامية أنفسنا بتبعية الفقهاء في كل شأن من شؤون حياتنا؟

(٢) لماذا أحكم الفقهاء علينا طوق العبودية والاستعباد؟

(٣) لماذا يتعاطف بعض الشيعة في العالم مع الـزعامة المذهبية الشيعية في إيران ولا يتعاطف مع محنة الشيعة في إيران ؟

(٤) لماذا قست الزعـامة الشيعية الإيـرانية على الشيعة من القـوميات الأخرى ؟

(٥) لماذا تؤيد القوى الاستعمارية الكبرى النظام الشيعي المذهبي؟

(٦) لماذا لا تقف بعض دول المنطقـة التي تعـاني من إرهـاب النظـام المذهبي الحاكم على الشيعة في إيران مع التصحيح؟ .

(٧) لماذا لم يستطع المناضلون الشيعة إسقاط النظام الشيعي المذهبي؟

(٨) هل يوجد حل لخلاص الشيعة من محنتها غير التصحيح؟

وهكذا أبدأ بوضع الأسئلة والجواب عنها .

* * * *

(س) : لماذا ألزمنا أنفسنا نحن الشيعة الإمامية بتبعية الفقهاء في كل شأن من شؤون حياتنا؟

(ج) : الشيعة الإمامية خضعت وأذعنت بلا دليل أو برهان لما ادعاه فقهاؤها بوجوب الانقياد والطاعة العمياء لهم باسم «التقليد» حيث قالوا إن الفروض الشرعية التي تؤديها الشيعة عاطلة باطلة إذا لم تلزم نفسها بالاتباع لفقيه من الفقهاء. وأضاف بعضهم يجب إطاعة الفقهاء ليس في المسائل الشرعية فحسب بل حتى في الموضوعات ـ أي في شؤون الدين والدنيا معاً ـ وهكذا ظهرت إلى الوجود بدعة ولاية الفقيه.

والشيعة المسكينة لم تسأل نفسها ولو لمرة واحدة لماذا عملنا باطل عاطل إذا كنا نأخذ بها في كتاب الله وسنة رسوله وضروريات الإسلام وفقه الإمام الصادق الواضح؟

ولم تسأل الشيعة نفسها لماذا صلاتنا باطلة وصومنا باطل وحجنا باطل إذا صلينا وصمنا وحججنا كما فعل رسول الله ﷺ والمسلمون؟ ولم تسأل نفسها أيضاً لماذا تكون أعمالها باطلة إذا كان مقلدنا رسول الله ﷺ والإمام علي والإمام الصادق والسلف الصالح من صحابة رسول الله بدلاً من أن يكون مقلدنا هذا الذي لقب نفسه آية الله أو أقل منها أو أكثر حسب الألقاب التي لقبوا بها أنفسهم وما أنزل الله بها من سلطان؟ لقد قبلنا نحن الشيعة الإمامية بما يدعيه الفقهاء من صلاحيات تتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بدون أن نطلب منهم الحجة وبدون أن نحاججهم في منطوق ادعائهم أو نقاضيهم أمام كتاب الله وسنة رسوله.

لقد أطعناهم إطاعة عمياء وقبلنا كل ما ادعوه ونسبوه لأنفسهم من قداسة وتجبر وتكبر علينا.

لقد كنا نعيش في عصر الظلام ولم نعـرف الأمل والنور والمنطق والحجة فأذعنّا لكل ما فرضوه علينا .

لقـد استغلّت الزعـامـات المذهبية والفقهـاء عبر التـاريخ ـ ومنـذ أن بدأت تحكم علينا الطـوق ـ سذاجتنا نحن الشيعة الإمـامية وحبنا الجارف لأهل بيت رسول الله ﷺ فـأحدثت في مذهبنـا النقي الصافي الـوضاء كما قلنا بدعـا وتجاويف وتجاعيد كل واحدة منها تخدم مصـالحهم وفي الوقت نفسه تضربنـا بل تنسفنا نسفاً ، لقـد عددت البدع والتجـاويف في كتابي (الشيعـة والتصحيح) و(عقـائد الشيعـة الإمـامية) ولا أريـد تكـرارهـا . ولكنني أود أن أقول بكل اختصـار إن كل واحدة من هـذه البدع أدخلت في عقيدتنا ، نحن الشيعة الإمامية ، لإحكام طوق العبودية علينا والتحكم فينـا كما يشـاء الفقهـاء ، وفي آخـر النـداء سأشير إلى الصلـة بين البـدع والتجاويف و إحكام سلطتهم وسطوتهم علينـا . إذن السذاجة وحدها لم تلعب الدور الكافي ، بل استغلال الفقهاء حبَّ الشيعة لأهل بيت رسول الله مضافـاً إليه البدع التي أحـدثوها في العقيـدة جعلت من الشيعة أداة طيعـة للفقهاء ، يضحـون في سبيل مآربهم في سـاحـات الوغى مـرة وفي ساحات البلاء مرة أخرى . ولم يكن الفقهاء وحدهم هم الذين لعبوا هذا الدور الخطير في انحـراف الشيعة عن نهجهـا الصحيح القويم المتمثل في تبعيتـه لفقه الإمـام الصادق ، بل كـان للفقهاء أجنحـة أخرى استمـدّوا قوتهم منهـا وهم الرواة ورجـال الحديث والمفسرون الذين نسبـوا إلى أئمتنا الكـرام زوراً وبهتانـاً روايـات وأحاديث كلهـا تـؤيـد البدع والتجـاويف والتجاعيـد التي أدخلوها في العقيـدة الشيعية لصـالحهم وتفسير الآيات القـرآنية حسب أهـوائهم بصورة تخدم أهـواء الفقهاء ، وبهذين الجنـاحين استطاع الفقهاء أن يحكموا قيود الاستغلال والاستبداد على أعناق الشيعة عبر التاريخ .

(س) : لماذا أحكم الفقهاء علينا طوق العبودية والاستعباد ؟

(ج) : أحكم الفقهاء علينا ، نحن الشيعة الإمامية ، طوق العبودية والاستعباد لأنهم عرفوا أننا فئة لا نعارض أهواءهم ولا نحاججهم في ادعائهم ولا نريد منهم توضيحاً فيما يقولون . كان فقهاؤنا على علم كامل بالنفسية الشيعية التي كانت مهيأة للخضوع إلى ما يطلب منها في عهد الظلام فنصبوا أنفسهم أولياء وأوصياء عليهم . ولكي تكون الحجة دامغة في نظرهم نسبوا روايتين إلى الإمام المهدي تقول إحداها :

(أما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة أحاديثنا) .

وتقول الثانية : (أما من الفقهاء من كان صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه) .

وهاتان الروايتان حتى وإن صح صدورهما فهذا لا يعني وجوب التقليد بالصورة التي رسمها فقهاؤنا ، ولا تعني أبداً أن للفقهاء الحق في أن يأمروا الشيعة بالقيام بكل ما يرونه من حق وباطل ولا يعني أبداً أن لهؤلاء حق الولاية . ولا يعني أبداً أن من لم يأخذ برأيهم في مسألة فقهية أو غير فقهية فعمله عاطل باطل ، لقد استخرجوا من هاتين الروايتين ـ وحتى إن صح صدورهما عن الإمام المهدي ـ مفاهيم ومضامين تتناقض تناقضاً تامًّا مع منطوق الروايتين ولكن عندما تحكم السذاجة العقل الإنساني ويواجه هذا العقل الساذج دهاء المخططين فحينئذ يسهل الوصول إلى ما يصبو إليه المخططون الدهاة ، وأعتقد جازماً أن فقهاءنا لم يقصدوا من استعبادنا ، نحن الشيعة الإمامية ، السيطرة الروحية والفكرية علينا فحسب ، بل كانوا يخططون لأمرين كل واحد منهما أخطر من الآخر، كانوا يخططون للسيطرة على أموال الشيعة ومن ثم الاستيلاء على مقاليد الحكم . فأدخل الفقهاء تلك البدعة الكبرى في العقيدة الشيعية

وفسروا الآية الكريمـة التي تقول: ﴿**واعملـوا أنما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول... الآية**﴾ [الأنفال: ٤١] بأن هذه الآيـة نزلت في أرباح المكاسب في حين أن المفسرين وأرباب الأحاديث والفقهاء أجمعوا على أنها نزلت في غنائم الحرب ولا عـلاقة لها بأرباح المكاسب، ثم أفتـوا بوجوب تسليم هذا الخمس إلى يد الفقهـاء، وأضافوا أن الشيعة إذا لم تسلم خمس أربـاحها إلى يـد المجتهد أو الفقيـه فإن صـلاتهم باطلـة وصومهم بـاطل وحجهم بـاطل وهكـذا دواليـك، وخضعت الشيعـة المسكينـة إلى هـذه الفتوى التي ما أنزل الله بها من سلطان. وهـا هم عبر التاريخ يقدمون إلى الفقهاء خمس أرباح مكاسبهم ولم يحدث قط أن نفـراً منهم قد سأل هؤلاء الشركـاء الـذين لا يشـاركـون الشيعـة في رأس المال ولا في التعب والكـد والجهـد بل يشـاركـونهم في الأربـاح فقط، من الـذي جعلكم شركـاء في أربـاحنا؟ ومـا الأدلة التي تستنـدون عليهـا؟ ولماذا نكدح ونكـافح نحن وأنتم قاعدون تجنون ثمار تعبنا؟

لقـد خضعت الشيعـــة لهذه الضريبـة الجائرة بـلا ســؤال ولا ضجـر فاحتلبهم الفقهاء كما تحتلب الناقـة الطيعة. ولم يقنع الفقهاء بمشاركتهم في أرباح الشيعة، بل زعمـوا أنهم ولاة عليهم يجب إطاعتهم، ومن خرج عليهم فقد خـرج على الله، ومن رد عليهم فهو كالـراد على الله يجب قتله وقمعه من الوجود. فخضع كثير من الشيعة لهذه الفـاجعة الفكرية وقبلوا وآمنوا بها وضحوا بأنفسهم وأولادهم في سبيل هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم السلطة الإلهيـة وبدون أن يسـاندهم دليل أو يقف معهم بـرهان، بل إن الذي يـدعونه لا يتناقض مـع عقيدة التوحيد والشريعـة الإلهية فحسب، بل يتناقض مع كل مبادئ العقل والبدهيـات الأولية، حقًّا إنه من الأمور المحزنـة أن تواجـه الشيعة محنـة فكريـة كهذه، وكثير منهم يـؤمنون بها،

ويتفانون في سبيلها في عصر استطاع العقل الإنساني أن يغزو كوكب نبتون على بعد أربعة آلاف مليون ميل من كوكبنا هذا.

لقد ذكرت في مقدمة هذا النداء ما رواه (سنوحي) عن عصر الفرعون أمفسيس وقارنت بين ما قام به أمفسيس في عهد الظلام وما قام به ولي الفقيه في عهد النور وغزو الفضاء، ولكنني لم أذكر كيف استطاع أمفسيس أن يحكم شعب مصر؟ ومن كان أمفسيس قبل أن يحكم شعب مصر؟ وها أنذا أذكر قصة أمفسيس ففيها جواب لكثير من الأسئلة ولا سيما لأولئك الذين يواجهون بمثل هذا السؤال، كيف خضعت الشيعة لولاة الفقيه وكيف استطاع ولاة الفقيه أن يحكموا عليهم قيد العبودية والاستعباد؟

كان أمفسيس كاهناً صغيراً في شبابه يشرف على تحنيط ودفن الموتى في المقابر العامة ويأخذ أجراً زهيداً مقابل عمله فادعى في غفلة من الزمن ملكية المقابر وزاد في أجره فقبل الناس ادعاءه وخضعوا لما فرضه عليهم من ضريبة جديدة، ثم ادعى ولاية المدينة فخضع الناس لولايته بدون اعتراض فبدأ يحكم الناس وهم بما يأمرهم مطيعون، ثم ادعى الملكية فبايعه الناس على ذلك فأصبح الملك امفسيس، وعندما رأى أن إرادته تفرض على الناس بدون أدنى مقاومة أو أي اعتراض ادعى الألوهية ووقف الكهنة بجانبه وشهدوا بأنه الإله الخالق للعباد والفاعل لما يشاء، فقبل الشعب بذلك وسجدوا له طائعين فكان أمفسيس فرعون مصر. ثم بدأ يحكم الشعب بالنار والحديد فكان عهده عهد خراب ودمار لم يكن له مثيل من قبل.

وهنا نعرج على الولي الفقيه هذا قبل أن يحكم الشيعة في إيران بالنار والحديد.

كان رجل دين صغير في مدينة قم يعتلي المنابر ويقوم بالوعظ والإرشاد

في المآتم والمناسبات الدينية، فادعى الفقاهة والاجتهاد فلم يعارضه أحد، وادعى المرجعية والفقاهة وشهد بذلك أقرانه من رجال الدين وكهنة الفقه الشيعي فخضع له الناس وبايعوه مبايعة الفقيه المجتهد، ثم ادعى الولاية العامة والسلطة الإلهية، وشهد بذلك كبار كهنة الفقه والمجتهدين من الشيعة، فخضع كثير من شيعة إيران له وأصبح الحاكم بأمر الله في البلاد، وحكم الشيعة بالنار والحديد طيلة عشر سنوات من حكمه، وأرسل إلى المشانق وساحات الإعدام من لم يذعن لسلطته الإلهية.

إن هذه المقارنة توضح لنا حقيقة واحدة وهي أن الادعاءات الباطلة مهما كان حجمها وضخامتها وبطلانها وسخفها فإنها تجد تجاوباً فعّالاً من العقل الجمعي الساذج لا سيما إذا أيد تلك الادعاءات الباطلة الإعلام الحاكم على العقول الساذجة، فالإعلام المسيطر على العقل الاجتماعي في عهد الفراعنة كان بيد الكهنة. وفي عصرنا هذا فإنه بيد رجال الدين ووعاظ الحكام وأجنحتها المنتشرة في العالم الشيعي المتمثلة بصغار رجال الدين والصحف المأجورة والكتب المنشورة. ويبدو أن الزمان لقبول الادعاء الباطل لم يزل ساكناً. وهكذا نرى أن الباطل ينقلب حقًّا والحق يصبح باطلاً. لقد مات ولي الفقه وخلف وراءه من الخراب والدمار ما لا يمكن إصلاحه. وكان في عهد حياته يستعين بأفراد كانوا هم القابضين على السلطة. وفي الحقيقة كانوا هم أياديه التي تحكم وتنهى، وكل ما حدث في المجتمع الشيعي من بؤس وشقاء في مدة حكمه إنما تم على يد هؤلاء. وبعد أن مات استولى خلفاؤه على الحكم وقسموا إيران الشيعي بينهم كما قسم السلوقيون خلفاء الإسكندر إيران بعد وفاته. وهكذا نرى أن نفوذ الشعوذة والباطل يصل إلى مرحلة خطيرة، فالفئة التي يجب أن

تحاكم كمجرمي حرب وتباد من الوجوه لارتكابها أبشع الجرائم طوال عشر سنوات تمسك بـزمام السلطـة مرة أخـرى وتعلن أنها تسير على نهج الإمام الراحل .

* * * *

(س) : لماذا يتعاطف بعض الشيعـة مع الزعامة المذهبيـة ولا يتعاطف مع محنة الشيعة في إيران؟

(ج) : ولعل هذا الموضوع يعد من أخطـر المواضيع التي يواجهها العالم الإسلامي والشيعة على وجه الخصوص ، ولم يحدث حتى هذه اللحظة أن انتبه أحـد إلى هذا الموضـوع الخطير أو تحدث عنه أو فكـر فيه مع أن كثيراً من البـلاد الإسلاميـة ودول المنطقة عـانت تبعية الشيعـة ذات القوميـات المختلفة إلى الـزعامـة الشيعية في إيران . وهـا أنذا أوضح هـذا الأمر لكي تعـرف الشيعة قبـل غيرهم الأخطار الجسيمـة التي تـرتبت وستترتب على هذه التبعية .

الشيعـة في تبعيتها المذهبيـة تجاوز القوميـة ولا تفكر بها بأي حـال من الأحوال . ولعل خير مثال لتبعية الشيعة للزعامة الروحية وتجاوزها القومية في هذه التبعيـة مثل تبعية المسيحيين للحبر الأعظم الذي كـان لمدة أربعة قرون إيطـاليًّا إلى أن جاء البابـا البولندي الحالي فكان المسيحيـون في العالم مع قومياتهم المختلفة يتبعون البابـا الإيطالي بدون أن يكون لانتساب البابا للقومية الإيطالية أي تأثير على عقائد القوميات الأخرى .

وكذلك فإن الشيعي البـاكستاني والشيعي الهنـدي والشيعي الأفريقي والشيعي اللبنـاني يقلـد ويـرجع في عقيدتـه المذهبيـة إلى الـزعيم الـديني الإيـراني . فيكون زعيم الشيعـة إيـرانيًّا ولـه أتبـاع من قـوميات أخـرى . والزعامة الدينية في القرون الخمسة الأخيرة ، وبعد أن أدخل الشاه إسماعيل

الصفـوي إيـران في التشيع ، كـانـت بيـد الإيـرانيين في أغلب الأحيـان ، نستثني من هـذه القاعـدة بعض زعماء الشيعة القلائل الـذين كانـوا من العرب ، وهنـا لا بد من الإجـابة عن السـؤال التالي : لماذا تكـون الزعـامة الشيعيـة المذهبية في غـالب أحيـانها في احتكـار الإيرانيين ولا تكـون من نصيب غيرهم؟

والجواب عن هـذا السـؤال يظهـر لنا بـوضـوح في أمـرين متنـاقضين أحـدهما : سذاجتنـا نحن الشيعـة الإمـامية و إخـلاصنـا لما فرض علينـا كعقيدة يجب اتباعها .

وثانيهما : المكر والدهاء الذي يتمتع بـه رجال الدين الشيعـة الإيرانيون الذين يـرشحون دوماً للـزعامة المذهبيـة والفقاهة المرجعيـة زعماء إيرانيين ويحصرونها فيهم ، وهنـا يكمن سر خطير لم يكتشفـه أحــد من قبل هــو تجاوز الشيعة القومية في تبعيتها المذهبيـة ويظهر أيضاً تمسك رجال الدين الشيعة بالقومية والعصبية .

لماذا يـرشح رجـال الشيعـة الإيرانيـون دومـاً زعماء من إيـران للقيـادة المذهبية ولا يـرشحون زعماء مـن العرب أو الهنـد أو باكستـان في حين أنه يوجد بين رجـال الدين الشيعة من هذه القوميات عنـاصر أكفاء يتمتعون بـالصفات والمزايـا نفسها التي يحتـاج إليها القـائد الديني أو المجتهـد أو المرجع و إن شئت فسمِّه الولي الفقيه حسب مقاييس القوم؟

وهنـا يكمن سر غير معلن وغير مكتـوب وهـو أن الزعـامـة الشيعيـة الإيرانية والـذين من ورائها يعتقدون أن الـزعامة الدينيـة المذهبية الشيعية يجب أن تكـون في إيـرانيين لا في غيرهم ، لأن إيـران هي القلب النـابض للشيعة وحتى لا يحدث مـا يكدر صفو هـذه الزعـامة فيجب أن تبقى في إيران وفي يد إيرانيين كي تبقى حصينة لا يمكن لأحد أن ينال منها . وهي

تستطيع أيضاً أن تستفيد من موارد الشيعة و إمكاناتها في إيران الشيعي و إنفاقها على تصدير الثورة المذهبية الشيعية المتمثلة في ولاية الفقيه وكل البدع والتجاويف والتجاعيد المتعلقة بها .

وهذا شيء لا يتأتى لزعيم مذهبي يكون من قومية هندية أو باكستانية أو عربية أو غيرها ولكن الخطر العظيم الذي أود أن أشير إليه ليس هذا، بل الخطر كل الخطر في أن الشيعة في العالم عندما تقلد في عقائدها الزعامة الروحية بدون أن تخضع هذا التقليد وهذا الاتصال الروحي للقومية فيعني أن الشيعي اللبناني أو الهندي أو الباكستاني أو الأفريقي أو غيرهم يتبعون الزعامة الدينية الشيعية الإيرانية. والزعامة الشيعية الإيرانية عندما خرجت من نطاق القيادة الروحية وأصبحت ملكاً عضوضاً ونظاماً سياسيًّا وحكماً فيعني أن الشيعة تأتمر بأمر هذا النظام المذهبي السياسي الحاكم وإن لم تكن هي ضمن رعاياه أو منتسبة إليه في قومية أو لغة أو جوار. إن هذا الترابط بين الشيعة وبين الزعامة المذهبية عندما يتخذ شكلاً سياسيًّا يهدد الشيعة والإسلام والبلاد المجاورة بأخطار لا تعد ولا تحصى . فالنظام السياسي حتى إذا كان مذهبيًّا له أطماعه وله تصوراته وله مبادئه، والنظام السياسي لا أخلاق فيه ولو كان مبرقعاً ببرقع الدين والعقيدة، وما دام لهذا النظام السياسي المذهبي أتباع من قوميات أخرى فحينئذ يستعين بهم لأغراض غير سليمة بل سقيمة لبسط نفوذه وتوسيع رقعة سلطته وسطوته .

ونظام مذهبي من هذا النوع لا يجد صعوبة في أن يجند من الشيعة من قوميات مختلفة لتحقيق مآربه حيثما تحل الشيعة .

وهذا يعني أن النظام المذهبي يستغل سذاجة بعض الشيعة لأنه القائد الروحي لهم لضرب الدول التي هو في خصام معها، ولا شك أن

الشيعة بما أنها أقلية في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية لا تستطيع أن تنفذ رغبات النظام المذهبي الشيعي الحاكم كما يحلو لذلك النظام، فيكون العمل الذي يقوم به بعض الشيعة بوحي من النظام المذهبي وبالاً عليها، وتكون هي أولى ضحاياه بغض النظر عما يترتب على تلك الأعمال من نتائج خطيرة.

وهنا أجيب عن الجزء الثاني من السؤال وهو: لماذا لا تتعاطف الشيعة مع محنة الشيعة في إيران؟ وأقول: السبب واضح وضوح الشمس في رائعة النهار ومع الأسف لم ينتبه إليه أحد حتى الآن، وهناك سببان أساسيان:

الأول: أن الشيعة في العالم كما قلنا لا تنظر إلى القومية بنظر الاعتبار في تبعيتها المذهبية ولذلك كثير منهم موالون للنظام المذهبي الشيعي في إيران.

ولكن هذه الشيعة في تعاطفها مع الشعب الإيراني إنما تسلك طريق القومية وينظر إليها كقومية مختلفة عنها لا تمت إليها بصلة، فالشيعة العرب لا تهمهم القومية الإيرانية كإيرانيين كما لا تهمهم القومية السنغالية كسنغاليين. والشيعة في الهند وباكستان وغيرهما يرون القومية الإيرانية قومية لا تمت إليهم بصلة. ومن هنا فإن الشيعة في العالم لا يشعرون بل لا يهمهم المحنة التي تعيشها الشيعة في إيران. وهنا تظهر الازدواجية الخطيرة في تعاطف الشيعة مع الشيعة، فغير الإيرانيين من الشيعة تأخذهم الغيرة على النظام المذهبي ولا تأخذهم الغيرة على المحنة التي يعيشها الشعب الشيعي في إيران. وهذا الشعور غير الصحي كان ملازماً للشيعة حتى قبل أن يستلم الحكم في إيران الشيعي النظام المذهبي أي في عهد الشاه. فكان الشيعة في العالم لا يهمهم أبداً ما يفعله الشاه وقواه الاستبدادية بالشيعة ولكن كان ولاؤهم للشاه بصفته الحامي للمذهب ولاءً شديداً.

لقد قلت مرة للإمام السيد محسن الحكيم كبير زعماء الشيعة في العراق الذي كان يساند الشاه وحكمه، هل تعلم مدى القسوة والاستبداد الذي تلحق الشيعة في إيران على يد الشاه.

فقال: نعم.

فقلت: لماذا لم تفعل شيئاً؟

فكان جوابه: أخشى أن أقول كلمة ضد الشاه فيسقط نظامه ولا نسمع بعد ذلك شهادة أن علياً ولي الله في أذان الصلوات من إذاعة طهران.

فقلت له: أتفضل أن يبقى شعب قوامه خمسون مليوناً في محنة وشقاء وظلم واستبداد وفقر حتى تستمر هذه البدعة من إذاعة طهران؟

فطأطأ رأسه وصمت طويلاً ثم قال: الشاه هو رمز الشيعة ويجب علينا الاحتفاظ به.

إذا كان هذا ولاء المرجعية الشيعية لرمز الشيعة السياسي فكيف يكون ولاء عامة الشيعة للرمز الشيعي المذهبي؟

وهنا ألوم أجهزة الإعلام التي زعمت بأن النظام المذهبي في إيران سيسقط في نظر الشيعة إذا ما بثت ليل نهار أخبار المآسي التي حلت بشيعة إيران في نطاق القومية الإيرانية فحسب، فمنذ عشر سنوات وأجهزة الإعلام المضادة لنظام الحكم الحالي في إيران ما زالت تصف ما أصاب الشيعة في إيران باسم القومية الإيرانية ولم يهتز لكل هذا ضمير شيعي واحد من شيعة العالم، فلو كانت هذه الأجهزة تخاطب الشيعة في العالم باللغة التي يفهمونها وكانت تصور لهم مأساة الشعب الإيراني في صورة مأساة الشيعة منتزعة عنها القومية الإيرانية لكانت مشاعر الشيعة

تلتهب في العالم، ولأحست بما تعـانيه الشيعة في إيران، ولعـرفت الصورة الحقيقية البشعـة للنظام المذهبي الحاكم، فلـو كانت الشيعـة تسمع من أجهزة الإعـلام المضادة أن هذا النظام المذهبي دخل في حـرب مع الشيعة قُتل فيها مليـون شيعي وتسببت في تشريد ثلاثة مـلايين شيعي تائهين في آفاق الأرض البعيـدة وأُعدم مـائة وخمسون ألف شـاب شيعي كـان يعول عليهم في ازدهار هذا القطر الشيعي الكبير. وهناك مائة ألف أسير شيعي في أسر هـذا النظام منـذ سنوات يـرفض إطـلاق سراحهم. وهناك مـائة وخمسـون ألف سجين سياسي شيعي يعـانون في سجـون هذا النظـام آلام التعـذيب. وهنـاك خمسـون مليون شيعي مقيـدون بسـلاسل الاستبـداد والاضطهـاد يتهـددهم الفقـر والمرض والجوع لعرفت الشيعـة حينئـذ مـا أصاب الشيعة من بؤس وشقاء.

* * * *

(س): لماذا قست الزعامة الشيعية الإيـرانية على الشيعة من القوميات الأخرى؟

(ج): إذا أخذنا بعين الاعتبار النظرية النسبيـة لأينشتاين فإن الزعامة الشيعية الإيـرانية مع قسـوتها الكبيرة على الشيعة في إيـران فإنها في الوقت نفسه تكون أكثـر قساوة وضراوة على الشيعة غير الإيرانيين مـن القوميات الأخـرى. أما الأسبـاب فهي نفسها والتي كـانت وراء انتخاب الـزعامـة الشيعية المذهبية في إيران تقف وراء هـذا التفضيل، فإن كانت الشيعة في سـائر أنحاء العـالم كما قلنـا لا تحذو حذو القـوميـة في اختيـارها للـزعيم الروحي إلا أن الزعـامة الروحية الشيعية الإيرانية تسلك طـريق القومية في معاملتها مع الشيعة، بل إن القومية مسيطرة على كل خلية من خلاياها،

ولا أحتاج إلى كثير عناء لإثبات هذا الأمر، فعندما ترسل الزعامة الشيعية المذهبيـة مئات الآلاف من شيعـة إيـران لقتل الشيعـة ولإبادة مـدنهم في العراق ولخراب أراضيهم وممتلكـاتهم وقتل أبنائهم ونسـائهم، وتصر على هذا الأمـر بلا رحمة ولا شفقـة وتريـد بعد ذلك أن تضم شيعـة العراق إلى ممتلكاتها وتمارس في سبيل ذلك كل أساليب القسوة، فماذا يعني هذا غير تلك العنصريـة التي تمارس قتل الشيعة على حسـاب الشيعـة، وعندمـا ترسل الـزعامة الروحيـة المذهبية آلافاً من شيعة إيـران إلى لبنان لكي تقتل الشيعة اللبنانيين وتدمر مدنهم وقراهم لكي تبسط السطوة الشيعية عليهم على حساب الشيعة، يوضح هذا درجـة العنصرية الشديدة التي تمارسها الزعامة المذهبية الشيعية في إيران ضد الشيعة خارج إيران. وعندما ترسل الزعامـة المذهبية عشرات الآلاف من الشيعة إلى باكستـان و إلى الهند لكي تمارس سطوتها وسلطتها المذهبية على شيعة تلـك البلاد بالقوة والمال فهذا يعني ما كان يجب علينـا توضيحه للرأي الشيعي العـالمي. وأقول لهم: يا شيعة العالم استيقظـوا. وعندما ترسل الـزعامة المذهبية الشيعيـة الإيرانية عشرات الآلاف من شيعة إيران إلى بيت الله الحرام في مكـة المكرمة لتتخذ من سـذاجـة الشيعـة المجتمعين في البيت الطـاهـر أداة لإقحـامهم في التظاهرات المؤديـة لغرض الفساد والشغب وتتخذ من شيعـة العالم ستاراً ودرعاً تختفي وراءهـا وتقحمهم في أمر لا ناقة لهم فيـه ولا جمل فيعني هذا أن العنصرية تلعب دوراً قـويًّا في جعل الشيعة غير الإيـرانيين كبش فداء لأغراض الزعامة المذهبية الشيعية.

وإنني عندما أكتب هذه السطور أعلم علم اليقين وأعرف أن هناك في إيران الشيعي مئـات من الشيعة الـلاجئين من العراق والسعوديـة ولبنان وباكستان وهـم ينتظرون من النظام المذهبي الشيعي في إيران مساندتهم في

تقويض الحكم السائد في بلادهم، ولكن هؤلاء اللاجئين يعاملون من قبل النظام الشيعي الإيراني معاملة السيد مع عبده حيث يعاملهم النظام الشيعي الإيراني معاملة المتسولين وأبناء السبيل الذين لا حول لهم ولا قوة ولا وطن ولا عزة ولا كرامة، ويسميهم بالغرباء تارة وبالمشردين تارة أخرى وكثيراً ما ينعتون هناك بقوميتهم ازدراء بهم واستخفافاً.

وقبل أن أنهي هذا الفصل أود أن أكشف سرًّا خطيراً لجمهور الشيعة وإن لم يكن خفيًّا على العارفين بما يجري في أروقة الزعامة المذهبية الشيعية، حتى يعرف العالم الشيعي مدى العنصرية التي كانت ولا تزال تسيطر على عقول الزعامة الشيعية في تعاملها مع رجال الدين الشيعة من غير الإيرانيين، إن رواتب ومخصصات طلاب الشيعة في الحوزات الدينية حتى هذه اللحظة تحدد حسب القومية التي ينتمون إليها، فقد صنفتهم الزعامة المذهبية إلى أربع طبقات، الطبقة الممتازة وهم الإيرانيون حيث يحصلون على أعلى الرواتب والمخصصات، ثم يأتي بعدهم العرب ثم الهنود والباكستانيون والطبقة الرابعة هم الأفغانيون حيث يحصلون على أدنى الرواتب والمخصصات.

لقد كانت هذه السيرة المتبعة في الحوزات الدينية إلى أن استلم الزعامة الكبرى جدنا الإمام الأكبر السيد أبو الحسن فألغى الامتيازات الطبقية وأعلن تمسكه بالآية الكريمة: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾. وبذلك ساوى بين القوميات المختلفة في الرواتب والمخصصات. لقد استمرت الحوزات الدينية التي كان جدنا الإمام الأكبر يرأسها خمسة وعشرين عاماً على ذلك النمط حتى توفاه الله تعالى وسار خلفه الإمام البروجردي على نهجه لمدة خمسة عشر عاماً، وعندما توفي الإمام البروجردي عام ١٩٦٠ عادت المرجعية الشيعية الإيرانية إلى النظام

الطبقي الـذي كان سـائداً قبل زعامـة جدنـا ولا زالت الحالة هـذه حتى كتابة هذه السطور.

****

(س) : لماذا تؤيد القوى الاستعمارية الكبرى النظام الشيعي المذهبي؟

(ج) : يزعم الكثير من السـذج أن الشعارات التي رفعها الـولي الفقيه الشيعي ونادى بها كثيرون من أتباعـه في العالم وهي الموت لأمريكا والموت لبريطانيا والموت للاتحاد السوفياتي إنما تعني أن النظام الشيعي المذهبي في إيران أصبح نظاماً مستقلاً من تبعية هذه الدول وهو يعارضها ويقف أمام أطماعها ويهدد مصـالحها . ولا أريـد أن أتحدث كثيراً حول هـذا الأمر بل ألخص مـا أود قولـه بعبـارات مقتضبـة وهي أن الدول الكبرى كما يعـرف الجميع لا تهمهـا الشتـائم والشعـارات وتسميتهـا بـالشيطـان الأكبر أو الشيطان الأوسط أو الأصغر إنما الذي يهمها مصـالحها . فهي تدور معها حيثما دارت مصالحهـا ، وأما الشعـارات والشتائم فإنها هـواء في شبك لا قيمة لها في العرف الدولي والعالمي والسياسي .

لقد كـانت مبيعات الأسلحـة لدول العـالم الثالث قبل أن يتـولى الولي الفقيه والزعـامة الشيعية المذهبية الحكم في إيـران مائتي ألف مليون دولار سنـويًّـا . وبعد أن استلـم السلطة الـولي الفقيـه وشنّ الحرب ضـد الجار الشيعي وهدد أمن المنطقة العربية والإسـلامية وهدد دول المنطقة بتصدير الثورة وأرسل الإرهابيين لإحداث الخراب في تلـك البلاد ، قفزت مبيعات الأسلحة إلى رقم مضاعف . وبدأت دول المنطقة بالتسلح وتحصين نفسها ضـد احتمال قيـام أي اعتـداء يهدد أمنهـا وسيـادتها . وبـذلك ازدهـر الاقتصاد العالمي واقتصاد الدول الكبرى التي كانت مهددة قبل أن يستلم النظـام المذهبي الحكم في إيـران ، أمــا تخفيض مبيعـات النفط إلى أدنى

الأسعار فهناك آلاف الملايين التي جنتها الشركات الاحتكارية العالمية بفضل ولاية الفقيه فهي لا تعد ولا تحصى . وبهذه المعادلة الحسابية الواضحة نستطيع أن نفهم بوضوح أن القوى الاحتكارية العالمية والدول الاستعمارية الكبرى التي تتحكم في بيع الأسلحة وتصديرها ترى في النظام المذهبي الإيراني الصديق الحقيقي والعون الواقعي لمصالحها وتثبيت اقتصادها ، فهي لقطة كبرى للدول الاستعمارية يتسابقون للحفاظ عليها . فما دام هذا النظام قائماً في المنطقة فسوق السلاح يبقى مزدهراً وسوق النفط يبقى بائساً وشعوب المنطقة تدفع الثمن والضريبة وفي مقدمة تلك الشعوب نحن الشيعة الإمامية .

* * * *

(س) : **لماذا لا تقف بعض دول المنطقة ـ التي تعاني من ارهاب النظام المذهبي الحاكم على الشيعة في إيران ـ مع التصحيح؟**

(ج) : كنت أعتقد بإيمان راسخ أن سقوط النظام المذهبي الحاكم على الشيعة قد يكون له أثر مؤقت وقد تستريح دول المنطقة من كابوسه بعض الوقت . ولكن اعتقادي كان ولا يزال أن خلاص الشيعة من هذه المحنة ومن ثم خلاص المنطقة من آثار النظام المذهبي الحاكم إنما يتوقف على تغيير العقل العام الساذج عند الشيعة الإمامية حتى تسلك الشيعة طريق التصحيح الذي أوضحت معالمه في كتابيَّ (الشيعة والتصحيح). و(عقيدة الشيعة الإمامية في عصر الأئمة وبعدهم) ؛ لأن النظام المذهبي الحاكم على الشيعة استغل هذه البدع والتجاويف لمآربه الخاصة وأصبحت له قوة يساندها العوام السذج من الشيعة ، وما دامت هذه البدع موجودة في العقيدة الشيعية فإنه يمكن استغلالها من قبل أي نظام يتولى السلطة المذهبية في المستقبل ، وقد وجد في التاريخ الشيعي أن هذه

البدع استغلت مرات ومرات من قبل النظام الحاكم. وقد زال نظام وحل محله نظام معتدل ولكن لم يلبث الأمر طويلاً. فإذا بنظام مذهبي يعتلي سدة الحكم ويستغل البدع الموجودة مرة أخرى وهكذا دواليك. ويعني هذا الكلام أن أساس المحنة ليس النظام الحاكم بل هو البدع والمعتقدون بها. ولا شك أن أول أثر يترتب على التصحيح هو نبذ الخلاف وكل ما يكدر صفو الأمة الإسلامية ويضمن توحيد المسلمين الأمر الذي يتناقض تناقضاً أساسيًّا مع السياسة الاستعمارية العالمية (فرِّق تسُد) فليس هناك شيء أشد وأنكى على المتربصين بالإسلام والمنتفعين من الخلافات المذهبية من توحيد الصف الإسلامي ووحدة الأمة الإسلامية. ولا شك أن التصحيح هو الذي يضمن تحقيق هذه الوحدة. وكنا قد أثبتنا قبل قليل أن الاستعمار الشرقي والغربي استفاد من الخلاف الذي أحدثه النظام المذهبي في المنطقة من قتل المسلم أخاه المسلم والتهديدات التي كان يطلقها ليل نهار على الدول المجاورة منذ أن استلم الحكم وإحياء هذه الفرقة التي كانت شعار النظام الحاكم التي تضمن مصالح الدول الاستعمارية. وهذه الدول لا ولن ترضى بأن ينطلق في الأجواء الإسلامية نداء الوحدة التي يضمنها التصحيح. لذلك فإن بعض دول المنطقة ـ التي عانت كثيراً من النظام الشيعي المذهبي ولا زالت تعاني ـ مع أنها في قرارة نفسها تود الوحدة وتراها ضرورية لحياة دول المنطقة والأمة الإسلامية فيها، إلا أن هذه الدول مرغمة على ألا تفتح للتصحيح نافذة وتغلق أمامه كل الأبواب. وهنا أود أن أعلن بكل صراحة لكي يسجل التاريخ الإسلامي أنني لو كنت أكتب بدلاً من كتاب التصحيح الذي يضمن وحدة المسلمين وارتفاع شأنهم وعلو كلمتهم ويريح الشيعة والمذاهب الإسلامية الأخرى من صراع مرير دام ألفاً ومائتي عام. لو كنت أكتب كتاباً في الفرقة وفي إثارة نار الطائفية وإثارة الخلاف بين المسلمين وفي

ضرب الشيعة بالسنة والسنة بالشيعة، لكان والله كتابي يطبع بالملايين ولوصل إلى يد كل واحد في المنطقة ولكانت أجهزة الإعلام تتحدث عنه باللغة التي تزيد الطين بلّة والنار اشتعالاً، ولكانت القوى الاستعمارية تصفق لهذا الكتاب وتشجع على مداولته وتروج لتوزيعه، ومن هنا فإنني لا ألوم بعض دول المنطقة؛ لأن توحيد الشيعة مع السنة وتحقيق وحدة إسلامية عريضة بعيداً عن الخلافات والنعرات الطائفية والعيش تحت لواء الإسلام كما كان المسلمون في عهد رسول الله ﷺ والسلف الصالح والأئمة ـ تتناقض مع مصالح القوى التي تتحكم في مصالح شعوب المنطقة والعالم الإسلامي. ولا أريد أن أضيف أكثر من هذا لأنني لا أريد أن أدخل في صراع سياسي مع أي جانب. واللبيب من الإشارة يفهم ما يكفيه.

* * * *

(س) : لماذا لم يستطع المناضلون الشيعة إسقاط النظام الشيعي المذهبي؟

(ج) : لقد تحدثنا كثيراً عن النظام المذهبي الحاكم في إيران وأن له مؤيدين من الشيعة وهذه الطبقة المؤيدة تؤمن إيماناً أعمى بالمبادئ التي أسس عليها النظام الحاكم ويستوحي منها، وهي نظرية ولاية الفقيه ونظرية وجوب تقليد المجتهدين وأن من لم يقلد المجتهدين من الشيعة فعمله باطل عاطل وأن من يرد على الولي الفقيه فشأنه شأن الراد على الله وعلى رسوله ﷺ. وما عدا هاتين الدعامتين اللتين عليهما بني النظام الفكري للشيعة الإمامية ومنها تفرعت كل البدع التي أردنا تصحيحها واستغلها المجتهدون وولاة الفقه لإحكام السيطرة على الشيعة واستعبادهم، فإن هذه البدع مجتمعة ومنفردة كانت ولا تزال تلعب دوراً

أساسيًّا في تفكير طبقة كبيرة منا نحن الشيعة الإمامية. وهنا لا بد من القول وبكل صراحة إن عشرين بالمائة من شيعة إيران هم الذين يؤمنون إيماناً أعمى بولاية الفقيه وما تفرع منها. وهناك الأكثرية الساحقة التي لا تؤمن بولاية الفقيه بمفهومها الآمر الناهي المطلق ولكنها تؤمن بتقليد المجتهدين وتبعيتهم، فهم في مرتبة أدنى حماساً لولاة الفقه من الطبقة الأولى التي أشرنا إليها. وهذه الأكثرية الساحقة التي لا تخلو عقائدها من البدع والتجاويف والتجاعيد أيضاً هي التي لم تكن تؤيد في قرارة نفسها النظام المذهبي الحاكم. وكان الصراع يحدث بين هذه الأكثرية الساحقة التي فقدت حريتها على يد الأقلية الحاكمة التي لا تزيد على ٢٠٪ من الشيعة. غير أن هذه الأكثرية لم يكن باستطاعتها قهر الأقلية التي كانت تقمع التظاهرات وإرادة الأغلبية بالنار والحديد. وهنا يكمن ذلك الخطر الذي أشرت إليه أكثر من مرة بأن الشيعة مهددة بالفناء والدمار على يد الشيعة أيضاً. وذلك أن في النظم الاستبدادية السياسية عندما تحدث تظاهرة كبرى ويخرج الشعب برمته إلى الميادين والشوارع فإن القوى القمعية التي كانت أداة المستبد الحاكم في كثير من الأحيان لا تفتح النار على المتظاهرين لأنهم إخوة لهم ولأنهم يقارعون الاستبداد الحاكم. وفي كثير من الأحيان تلتحق أيضاً بالمتظاهرين وتكتمل صورة الثورة الشعبية العامة التي تطيح بالحاكم المستبد كما حدث في الثورة التي أطاحت بالشاه من قبل. حيث إن القوى القمعية الاستبدادية من الشرطة والأمن والجيش كلها انضمت إلى الشعب الثائر وكانت الثورة شاملة، ولكن في الوضع الراهن وبما أن القوة المسيطرة على البلاد قوة مذهبية وهناك عشرون بالمائة من الشعب أو أكثر تعتقد بها وبفلسفتها وتتكون من هذه الأقلية القوى القمعية التي تسيطر على البلاد فإن كل تظاهرة شعبية ستقمعها هذه الأقلية بالنار والحديد وبدون رأفة ولا رحمة. إيماناً منها

بأنها تقتل الإخـوة في المذهـب والدين بنـاءً على أوامـر الله ودستور القـرآن وسيرة الإمام علي ولذلـك لا تأخذها الرأفة بهم ولا يهمهـا أن تقتل ألفاً أو مائة ألـف في معـركة واحدة أو أكثـر وهي فخورة وشـاكرة الله بأنها قضت على أعداء الدين المنافقين المارقين القاسطين .

في هـذه الحالة ، فإن نجـاح الثـورة الشعبيـة لإسقاط النظـام المذهبي الحاكم في إيران يكون أمراً عسيراً ، وهنا أعرج على ما أود الجواب عنه وهو أن المناضلين من الشيعة الإمـامية الذين قارعوا النظـام طيلة عشر سنوات سلكوا طريقاً خاطئاً في تصوير المآسي التي ارتكبها النظام المذهبي الحاكم وفي تفسير الفجائع التي ارتكبها سواءً في حربه مع الشيعة الجار أو في قتل الشيعة الجماعـي في السجون والمعتقلات داخـل البلاد ، وفي كل مـا كان يصدر منـه من أمور تتنـاقض مع أركـان الإسلام . لقـد كانت المعـارضة الشيعية في أجهـزة إعلامها وفي صحفهـا وفي بيانـاتها تتهم النظام الحاكم وعلى رأسه الـولي الفقيه والأيادي التي تعمل معه بأنها أعمال ضـد الإسلام ومبـادئه . وإن الفئة الحاكمـة ترتكب مـا يتنـاقض مع الإسلام . وكـانت المعارضة دومـاً تركز تركيـزاً شديداً على هذا الأمـر وتحاول جاهدة أن تثبت لشيعة إيـران أن النظام الحاكم يعمل ضد كل ما يمت بصلـة إلى الإسلام من قريب أو بعيد . ولكن كان النظام قـائماً ومئات الآلاف كانوا يشاركون في صلوات الجمعة ومئات الآلاف كانوا يخرجـون في تظاهرات تؤيد تأييداً مطلقاً للنظام الـذي سمي باسم الإسلام ولكن أعماله ضـد الإسلام وضد القرآن بلغ من الوضوح وضوح الشمس في رائعة النهار.

هذا هو الخطأ الذي وقعت فيه المعارضة الشيعية في إيران وخارج إيران وكل القوى الإسـلامية التي كانت تزعم أن فضح النظـام الحاكم في إيران إسلاميـاً ودينياً سيـؤثر عليه داخل البـلاد وأمام المؤمنين بـالنظام ولكن لم يحدث شيء كهذا .

إن الخطأ الرهيب الذي وقع فيه المناضلون الشيعة هو أنهم لم يعرفوا لغة التخاطب مع الشيعة في إيران سواء تلك الأقلية التي أشرت إليها أو تلك الأكثرية التي تحدثنا عنها فـإنهم شيعة قبل أن يكونوا مسلمين. والإسلام في نظرهم هو التشيع والمذهب الحق الذي جاء الإسلام لأجله هو المذهب الشيعي بـالشكل الـذي نسجه الفقهـاء وولاة الفقـه بعد الغيبـة الكبرى وبعد أن غيروا حقيقة التشيع الناصع الباهر المتمثل في فقه أهل البيت إلى ما هو عليه الآن، إن الشيعة في إيران تنظر إلى كل المقاييس الإسلامية من الزاوية الشيعية، ولـذلك فإننا لا نجد غرابة عندما نـرى أن أكثرية فقهاء الشيعة كتبوا أن الإمامة أصل من أصول الدين ولولا الإيمان بذلك فإسلام المرء نـاقص لا يقبل منه. وبـذلك حدث الخلاف الأسـاسي العميق بين الشيعة والمذاهب الإسلامية الأخـرى في فهم الإسلام. ويعني كلامي هذا أنه عنـدما كان المناضلـون الشيعة يركـزون لفضح النظام المذهبي الحاكم على الشيعة بأن أعمال هذا النظام تتنـاقض مع الإسلام ولم يجدوا استجابة أو تحمّسًا من الشيعة لقبول هذا النداء إنما كـان ذلك لأن الزعامة الروحية الحاكمة كانت تفسر تلك الأعمال تفسيراً شيعيًّا يتلاءم مع المبادئ الشيعية التي فرضـوها علينـا نحن الشيعة الإماميـة. ولذلك كـانت تسقط حجة المعارضين ويذهب كلامهم هباء. أما لو كانت المعارضة الشيعية بدلاً من اتهام النظام المذهبي الحاكم في إيـران بالخروج والمروق على الإسـلام كانت تتهمه بـالخروج على التشيع والمروق عن مبادئه وإعـلام أن ما يصـدر منه إنما هو ضـد المبادئ الشيعية بل تحطيم لها فكانت الأمـور كلها تنقلب إلى غير مـا توصلت إليـه، فبـدلاً من أن يخاطب الشيعة في إيـران بأن الحرب ضـد الإسلام، كـان من الأجـدر أن يخاطب ويقال لهم بأن الحرب ضـد التشيع، وإن إعـدام المعـارضين إنما هـو ضـــد التشيع وأن تجريـد الأمـة بكاملهـا من أبسط حقوقها في حـرية تقرير المصير إنما هـو ضد التشيع.

وأن وجود هـذا النظام بهذا الشكل إنما هـو إساءة للتشيع وسيكـون نهاية التشيع على يـده . وكان على المعـارضـة أن تأتي بأدلة وأمثـال تـؤيد هـذه الادعاءات من عمل الإمام علي وسيرتـه وعمل الأئمة وسيرتهم وكلامهم . فحينئـذ كـانت تلك الأقليـة الشيعية تقف ضـد النظـام الحاكم بما فيهـا القـوى القمعيـة التي تسـاند النظـام وحتى تلك الأكثـريـة التي كـانت تغضب حيناً وتسكن أحياناً كانـت تصبح كلها كتلة واحدة للقضاء على النظـام الذي يهدد المذهب الـذي ينتمي إليـه ويقوم بأعمال تتنـاقض مع المذهب ومبادئه . فلقـد قالـوا إن مصادرة الأمـوال ضد دستـور الإسلام . وكـان من الأجـدر أن يقـال إن مصادرة أمـوال الشيعـة ضـد المذهب وأن الحرب هذه ضد الشيعة والتشيع وهكذا دواليك .

إنّ المناضلين من الشيعة لم يعـرفوا وحتى هذا اليوم لغـة التخاطب مع الشيعة في إيران وغير إيران ؛ وبذلك لم تستطـع المعارضة تكوين رأي عام يستطيع القضـاء على النظـام . ثم كـان من الضروري ألا تكتفي في هـذا التخاطب باتهام النظام المذهبي الحاكم أنه ضد التشيع وضد الشيعة . بل كان يجب على المناضلين وهذا ما يجب عليهم فعلاً أن يركزوا تركيزاً شديداً وحادًّا على أن المحـور الأساسي للحكومـة المذهبية الشيعية إنما هـو البدع والتجاويف والتجاعيد التي عليهـا بنيت دعائم ملكهم ، وأن هذه البدع والتجـاويف ما دامت مـوجـودة في العقيدة الشيعيـة وفي العقل الجمعي السـاذج فإن هذا النظـام يبقى والشقاء يبقى . إنّ التشيع الحقيقي الـذي كان في عهـد أئمة الشيعـة يتناقض تماماً مع هـذا التشيع الذي ينـادي به الفقهـاء . لـذلك فإن كـل مـا صـدر عنهم من أعمال سيئـة و إن فسرت تفسيراً شيعيًّـا لكي تلقى قبـولاً لـدى عـامـة الشيعـة ، فإنها في حقيقتهـا تتنـاقض مع مبـادئ التشيع الصحيح والفقـه الجعفري الـذي يمثل فقـه

الإمام الصادق النقي الوضاء، فإذن كان الخطأ الذي ارتكبته المعارضة الشيعية هو عدم تحريك الوجدان الشيعي المكيف بالتكييف الصناعي على يد الفقهاء والمجتهدين وعدم الارتكاز على بيان تلك البدع وتفنيدها وإظهار حقيقتها وبيان الحقيقة التي لا تدع مجالاً للشك بأن عقائد الشيعة الإمامية في عصر الأئمة كانت شيئاً يختلف تماماً ويتناقض كليًّا مع عقائد الشيعة الإمامية بعد عهد الأئمة وهذا هو الذي أثبتناه في الكتابين اللذين أشرنا إليهما.

وفي اليوم الخامس من شهر أكتوبر من عام ١٩٨٩م عين الشيخ الذي يرأس الجمهورية الإسلامية الإيرانية مستشاراً للشؤون السنية اسمه مولوي إسحق مدني، وهل هناك دليل أوضح من هذا على ما ذهبت إليه قبل قليل من أن مشايخنا ــ سامحهم الله ـ ينظرون إلى الإسلام كأمر لا صلة له بالعقيدة التي يدعون الانتماء إليها. وإلا فماذا يعني اختيار مستشار للشؤون السنية لبلد إسلامي اسم نظامه الجمهورية الإسلامية، يشارك شعبه المسلمين في قبلتهم وقرآنهم وحجهم وصلاتهم وصومهم وأركان عباداتهم وهل هناك فرق بين الإسلام والسنة؟

والأغرب من هذا أننا نحن معاشر الشيعة الإمامية نعتقد بأن السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله أي (السنة التي ينتمي إليها أهل السنة) ويأتي موقع السنة النبوية قبل الإجماع والأدلة العقلية ويعني هذا أن كل شيعي جعفري المذهب إنما هو سني بالضرورة العقلية شاء ذلك أم أبى ولكن لا عكس في ذلك. فقد يمكن أن يكون السني شافعيًّا أو حنفيًّا أو مالكيًّا ولكن ليس جعفريًّا، أما الجعفري فلا بد أن يكون سنيًّا؛ لأن السنة هي الطريق إلى فهم الأحكام والتشريعات الفقهية عنده.

(س): هل يوجد حل لخلاص الشيعة من محنتها غير التصحيح؟

(ج): هناك حل وقتي وهو الخلاص من هذا النظام الحاكم وهو الذي يتمناه المعارضون للنظام الحاكم على الشيعة الإمامية في إيران. وكل من المعارضين يعمل بطريقته للخلاص من هذا النظام. وقد تنجح المعارضة على المدى القصير أو البعيد إلا أنني أعتقد أن هذا النظام الذي لا يمت إلى الإنسانية بكل شكل من أشكالها بصلة ولا إلى الأديان السماوية بأي قسم من أقسامها بصورة أو بأخرى أنه نظام شاذ، لا يمكن أن يستمر في الوجود كثيرًا. ولكنني أنظر إلى المشكلة من بُعد آخر وهو أن النظام بعد سقوطه - وكما قلت - فإن الشيعة تبقى مهددة بالخطر والفناء ما دامت توجد في أعماقها المبادئ غير السليمة التي زرعها الفقهاء والمجتهدون زورًا وبهتانًا، كما أنني لا أستبعد أيضًا أن يقوم هذا النظام بمغامرة أخرى في المنطقة مستغلاً الساذجين والمستضعفين في العقل. وحينئذ تكون الطامة الكبرى. وها أنا أرى نفسي في موقع يجب عليّ أن أكون صريحًا مع الشيعة والسنة في هذه اللحظة التي أطلق فيها هذا النداء وهو أن الخطر الذي يهدد الشيعة هو في حجم أكبر مما تتصوره الشيعة والعالم الإسلامي، والخطر منصبٌّ على الشيعة نفسها في عقر دارها قبل الدول المجاورة. وأرجو ألا يسألني سائل لماذا أتحدث عن الشيعة في هذا النداء ولا أذكر شيئًا عن الملايين من الفرق الإسلامية الأخرى التي تعيش في القطر الشيعي الكبير إيران.

إن الغرض من هذا النداء هو مخاطبة الأكثرية الشيعية التي تقطن في إيران، حيث لها كيانها وإمكاناتها ومواردها وهي التي سببت المحنة لنفسها وللمسلمين المتواجدين في إيران وفي غير إيران. وأعود لما كنت فيه وأود هنا أن أفصح وأكشف السر عن الخطر العظيم الذي أشرت إليه

سابقًا وهو حرب السنوات الثمانية التي قام بها النظام المذهبي الشيعي في إيران لقتل الشيعة وغيرهم في العراق وأثبت بذلك أنه عندما تصطدم القومية بالمذهب فإن القومية تتغلب عليه وإلا ما كان النظام المذهبي يأمر بقتل شيعة العراق وهدم المدن الجنوبية التي كلها مدن شيعية بالصواريخ والقنابل طيلة ثماني سنوات كاملة. وعندما قبل النظام بوقف إطلاق النار لم يقبل لسبب ديني أو مذهبي أو إنساني أو دولي، بل خضع للهزيمة النكراء التي مني بها، والتي عبر عنها الولي الحاكم بأنه (تجرع كأس السم) كما سمعه العالم، هذا يعني أن المبادئ الأساسية في المذهب الشيعي حسبما صورها الفقهاء تسمح بتكرار عمل كهذا مرة أخرى وأن من الممكن جمع القوى مرة أخرى واستغلال السذج والمؤيدين لولاية الفقيه لشن حرب جديدة، وفي أبعاد أكثر اتساعًا وعمقًا لتصدير الثورة الشيعية التي تسمى (إسلامية بالتقية)، وبما أن الشيعة مهما وصلت من القوة ومن السطو فهي تعد أقلية في العالم الإسلامي، ولا يزيد تعداد نفوسهم على عشرة بالمائة من المسلمين. فإن التغلب على الأمة الإسلامية بحجمها الوسيع والعريض أمر يستحيله العقل ويرفضه المنطق وضروريات الزمان والمكان، ولكن المغامرين الذين غامروا بالشيعة طيلة ثماني سنوات وغامروا بها في النكبات السابقة [1] عبر التاريخ قد يقومون بمغامرة أخرى عندما يجدون الفرصة متاحة لهم حسب زعمهم، وكلنا نعلم أن في الحروب لا تقدم الزهور، بل تكون الأسلحة الفتاكة هي التي تتكلم، وتاريخنا المعاصر يشهد أسلحة فتاكة ومدمرة كيميائية ونووية وغير ذلك مما يحدث دمارًا وفناءً لا مثيل لهما في التاريخ الإنساني. وألخص رأيي بكلمة واحدة: هل الشيعة تريد أن تجرب على نفسها هذه

---

(١) راجع كتاب عقيدة الشيعة الإمامية في عصر الأئمة وبعدهم.

الأسلحة المدمرة لسواد عيون ولاة الفقه والمجتهدين؟ وهل تريد الشيعة أن تباد وتفنى في سبيل إرضاء هذه الفئة التي عاملتها عبر التاريخ معاملة الجزار للقطيع؟ وأرجو أن تسمح لي الشيعة الإمامية أن أوضح كلامي بعبارة أخرى ما دمنا نحن الشيعة الإمامية نعتقد بأننا الفرقة الناجية فحسب بين الفرق الإسلامية، وما دمنا سمعنا من فقهائنا أن قتل المسلمين سواء كانوا شيعة أو سنة في سبيل ضمهم إلى الفرقة الناجية أمر تجوزه العقيدة المذهبية والذي يقتل في هذا السبيل يكون شهيدًا ويذهب إلى الجنة تلقفه الحور العين من كل جانب، وما دام أن التجربة أثبتت ما أقوله طوال ثماني سنوات كاملات وكان يشهدها العالم الإسلامي كل يوم على شاشات التلفزة، وما دام الحاكمون على الشيعة هم الأشخاص أنفسهم ذوي العقليات المتخلفة المتعصبة الذين كان إمامهم يقول لو انتصرنا فقد انتصرنا ولو هزمنا فقد انتصرنا أيضًا، وأقل ما يمكن أن يقال فيهم أنهم مجرمو الحرب وامتداد لتلك العصبة التي عانينا منها ما عانينا وما دام قائد القوات المسلحة لهذا النظام يخاطب الولي الفقيه بقوله:

لو قلت لنا إن هذه البطيخة نصفها حلال ونصفها حرام لأكلنا النصف الحلال وتركنا النصف الحرام، وما دامت هناك فئة كبيرة تصفق لمثل هذا الكلام وتقول له نعم، وهي لا تفكر قط أن هذا الكلام لو كان يصدر عن زعيم وعن قائده العسكري في بلد ديمقراطي متحضر لكان مصيرهما في اللحظة نفسها مستشفى المجانين.

وما دامت هناك فئة كبيرة تمثل الفئة التي بكت أمفسيس عند وفاته، فإن خطر إقحام الشيعة في مغامرة كبرى أمر وارد، إنها المغامرة التي يكون فيها إبادة الشيعة وجمع كبير من الفرق الإسلامية الأخرى، إنه لأمر مخيف ومرعب حقًّا. ومن هنا فإنني أرى حلاً واحدًا لإنهاء هذا الخطر الذي

يحدق بنا نحن الشيعة الإمـامية قبل غيرنا أو بالأحرى يحدق بكـافة الفرق الإسلاميـة ، وإذا أردت التعبير الصحيح ، الخطـر الذي يحدق بـالإسلام والمسلمين أينما وجدوا ، فإن هـذا الحل يتحقق بوسيلة واحـدة هي إيقاظ الشيعة لتعـرف البدع التي بواسطتهـا استجابت لخوض تلك المحن التي جنتهـا على نفسهـا وعلى غيرهـا من إخـوة مسلمين . وهـذا لا يمكن أن يحدث إلا بأن يصل نـداء التصحيح إلى أولئك الذين أضلتهم ولاة الفقـه والـزعـامـة المذهبيـة الحاكمـة ، ومن ثـم أن نعطي المصـائب التي حلت بالشيعـة في ظل ولاية الفقيه الأبعـاد الحقيقية لها ، وأن نظهرهـا كما قلنا في حجمها الشيعي . فهل يـا ترى عندمـا أعدم النظـام الحاكم في يوم وقف إطلاق النـار في حربـه مع الشيعة في العـراق بضعة آلاف مـن المسجونين السياسيين الشيعـة في سجون إيـران الشيعي وتحدثت عن هذه الفـاجعة الكبرى كل أجهـزة الإعـلام العـالميـة وحـدثت مسيرات عـالميـة قـام بها المناضلون الشيعة وغير الشيعة . وكان بين هـؤلاء الذين أعدموا مئات من الفتيات ومئات من الشيوخ ومئـات من الجرحى وكثير منهم قد أنهوا مدة حكمهم وكانوا على وشك الخروج من السجن . وإذا بـولي الفقيه يريد أن ينتقم لهزيمته في الحرب من هؤلاء المسجونين المقيدين بالسلاسل والأغلال فأمر بإعـدامهم ، ونفذ فيهم حكم الموت خلال أسبوع واحـد ، ولم يرحم أحـدًا منهم . ومع كل هـذا فإن الشيعـة في إيران عـرفـوا بهذا النبأ المفجع واستقبلوا أكبر مجزرة في التاريخ الشيعي بفتور كبير . لماذا؟

لأن المعارضـة لم تذكر الفجيعـة على حقيقتها ، فلم تصف المأسـاة أنه قتل بضعة آلاف شيعي من الشيـوخ والشباب والفتيـات المراهقات وغير المراهقات على يد النظام المذهبي الشيعي وبأمر من الولي الفقيه الشيعي ، بل وصفت الذين قتلوا على يد النظام بأنهم شهـداء مناضلون سياسيون ،

أما النظـام فوصفهم بالمنـافقين، وقلوب الشيعـة الموالين للنظام الحاكم لم تهتز لمثل هذه الفجائع .

وضمن هؤلاء الشيعة شيعة العالم الموالين للنظام الحاكم في إيران، فلِمَ لم يهتز ضميرهم لهذه الفاجعة؟ لأنها في نظرهم كانت فـاجعة إيرانية قومية فحسب وكأنها خـارجة عن نطـاق المذهب الـذي يؤمنـون به، ولـو أنهم سمعوا ووعـوا وعرفوا أن هؤلاء الـذين أعدمهم النظام الحاكم كانـوا شيعة مثلهم يصلون على التربة الحسينية في صلواتهم ويقولون أشهد أن عليًّا ولي الله في أذانهم، فحينئذ لخرجت الشيعـة في العالم عن صمتهـا الرهيب فيما يحدث لإخوة لهم في إيران وتغيرت نظرتها إلى النظام الحاكم .

وهنا لا بد أن أكشف بعض الأمور التي يجب على الشيعة من قوميات أخـرى أن يعـرفـوهـا ويلمـوا بها ليعلمـوا أنني حينما أتحدث عن الخطـر المحدق بـالشيعة على يـد هذا النظـام المذهبي لا أسوق الحديث جـزافًا، ولكنني أثبت أن النظـام المذهبي الشيعي في إيران ينحـو نحو العنصريـة والعـرقية في معـاملته مع الشيعـة غير الإيـرانيين ويريـد أن يجعلهم كبش الفداء لشيعة إيران .

لقد أرسل النظام الحاكم في إيران أيام الحرب الشيعية وفدا إلى باكستان يطلب من رئيسها المتـوفى ضياء الحق الموافقـة على مشاركـة متطوعين من شيعـة باكستـان في الحرب ليأخـذوا مـواقعهم في مقـدمة الحرس الثـوري الشيعي، ولكن ضياء الحق رفض هذا الطلب، ومرة أخرى أمرت الزعامة الشيعية في إيران بتجنيد كل الشيعة العراقيين اللاجئين في إيران وإرسالهم إلى جهـات القتال ووضعهم في مقـدمة الحرس الثـوري، وعندمـا احتج بعض زعمائهم على هذا الأمر قيل لهم بصلافة وشدة :

إنكم أهل الكوفة قتلتم الإمام الحسين وقد حان الوقت لتكفروا عن ذلك بتفانيكم في ترويج المذهب الشيعي.

ولست أدري هل تعلم الشيعة أن هذا النظام الإرهابي الذي يحكم الشيعة ويهدد العالم بالإرهابيين الذين يستأجرهم ويدفع إليهم المال الجزيل ويهدد بهم أمريكا وفرنسا وإنجلترا ويأخذ من تلك الدول الإتاوات، لماذا لم يستخدم حتى اليوم إرهابيًّا واحدًا من شيعة إيران لأغراضه؟ بل كلهم من الشيعة الذين لا ينتمون إلى القومية الإيرانية بأي صلة، فبعضهم من شيعة الكويت، أو من شيعة لبنان، أو من شيعة باكستان، أو من شيعة العراق. ولكن أين شيعة إيران في هذه المجموعة الكبيرة؟ ولماذا لا يستخدم النظام الشيعي الحاكم شيعيًّا إيرانيًّا واحدًا لأغراضه الدنيئة؟ أليس هذا دليلاً واضحًا على أن النظام المذهبي الحاكم في إيران الشيعي نظام مذهبي عرقي عندما يصطدم المذهب بالعرق يفضل العرق على المذهب ويفني في سبيله كل العروق؟ فهل تريد الشيعة في العالم أن تجعل من نفسها فداء لأطماع الزعامة الشيعية الإيرانية؟ اللهم إني قد بلغت.

لقد شهد العالم الشيعي المهزلة الكبرى في تاريخ الأمة الشيعية، حيث اختار مجلس الخبراء المكون من مائة فقيه أو أكثر رجلاً للزعامة الشيعية كل ما لديه من الفضيلة والعلم أنه كان خادمًا مطيعًا لولي الفقيه طوال ثماني سنوات من حكمه، وكان يحسن قراءة التعزية في مجالس الموتى. وعندما تصل الزعامة المذهبية إلى هذا الهزال ويستامها كل مفلس ويسكت على ذلك المجتهدون والفقهاء الذين يرون أنهم أجدر وأولى لإشغال هذا المنصب، بل يباركون هذه الفوضى المذهبية غير الأخلاقية في القول والعمل الذي يصدر عن الفقهاء لكي تبقى الزعامة المذهبية

بشكلها الجائر مستمرة إلى حين، فيعني هذا أن الشيعة أصبحت كالكرة تركلها الأقدام وتطيح بها من مكان إلى مكان، وكل هذا حتى تبقى اللعبة المذهبية مستمرة على حساب الشيعة، ومسيطر عليها، ويفتك بها آناء الليل وأطراف النهار. من هنا أنطلق لأقول: إن التصحيح والعودة بالعقيدة الشيعية إلى التشيع الذي كان يسود الشيعة في عصر الأئمة أي الأخذ بالمذهب الفقهي للإمام الصادق، والعودة إلى عصر الرسالة وما كان عليه السلف الصالح لهو خير ضمان كي لا تتكرر المآسي التي أصابت الشيعة مرة أخرى، وكي لا يجرؤ أقزام مجرمون أن يحكموا الشيعة بالنار والحديد أو بعقائد وبدع هي أشد وأنكى من النار والحديد.

الصعوبات والآمال

عندما أتحدث عن التصحيح في عقيدة تغلغلت في أعماق الملايين واستقرت في العقول الساذجة قرنًا بعد قرن ووراءها قوم ذوو بأس شديد يملكون كل مقومات التضليل والإرهاب ولا سيما أن هناك وراء الفكرة نظامًا له كل مقومات الدولة ما عدا الأخلاق والإيمان بما يعلنه في العلن وينادي به للناس ـ أعرف جيّدًا أن هناك آلافًا من رجال الدين يرتزقون ويعيشون على البدع التي نريد تصحيحها ويقفون ضد التصحيح شاهرين أسلحتهم على المنابر وفي الكتب والجرائد العميلة، وفي الندوات الخاصة والعامة، وأعرف جيدًا أن هناك الدول الاستعمارية الكبرى التي تحارب وحدة المسلمين ولا تريد لهم خيرا أو سعادة، وأعرف جيدًا أن هناك عملاء للاستعمار وهم يتبرقعون ببرقع المخلصين للشيعة ويبذلون الملايين على طباعة كتب التفرقة وعلى تأسيس المجالس والجمعيات التي تنادي بالفرقة والتمزق تحت شعار حب الشيعة أو حب الإمامية أو حب

أهل البيت وغيرهم، وأعرف جيدا أن هناك فئات ساذجة العقول تسير نحو الانحدار ولا تؤمن بالتصحيح وهي متشبثة بما وجدت عليه آباءها وأجدادها الأولين وهي على خطاهم تسير؛ فقد تعلمت عندما كنت أدرس تاريخ الحركات الإصلاحية أن الدعوة للإصلاح الفكري عملية جبارة ضخمة لها من المنغصات ما لا يعد ولا يحصى، ولقد قلت في مقدمة هذا النداء وأكرر أن دعاة التحرر السياسي يلاقون تأييدًا وتصفيقًا من الطبقة التي يريدون تحريرها، أما دعاة التحرر الفكري فلا يجدون في كثير من الأحيان غير الأشواك، ولذلك لم أتعجب قط عندما انبرى لنقد الشيعة والتصحيح ولشتمي رجل من قزوين في إيران منحدر من أصل يهودي معروف بعمالته للاستعمار، إلا أنني أعلم أيضًا أنه كثيرًا ما تنقلب هذه الأشواك إلى ورود زاهرة تتناولها الأيدي جيلا بعد جيل؛ وذلك عندما يعطي الإصلاح الفكري أكله ويقتنع به الناس.

وبما أنني قد ذكرت الصعوبات والهموم فلا بد من ذكر الآمال أيضًا.

أضع في مقدمة الآمال وقبل أي اعتبار آخر الإيمان بانتصار الحقيقة مهما هددته الأخطار، ومهما سعى الأعداء لهزيمتنا وإضعافنا. وعندما نمعن النظر جيدًا في تاريخ الإصلاحات الفكرية والاجتماعية والسياسية نجد أن كل واحد منها مهما كان محفوفا بأخطار جسام، إلا أن الحقيقة والحق انتصرا في نهاية المطاف؛ لأن الحق يستمد قوته من صاحب الحق الذي أمرنا باتباعه وهو الله قاصم الجبارين وناصر المظلومين، فالمظلوم الفكري كالمظلوم السياسي ناصره هو ناصر المظلومين، ولا شك أيضًا أن كلمة الحق لها تجلياتها الخاصة وهي تطفئ الباطل مهما كان قويًا، فلقد رأيت ـ منذ أن بدأت بمخاطبة الشيعة بكلمة الحق الذي هو التصحيح الذي جاء في كتابي «الشيعة والتصحيح» و«الصرخة الكبرى» ـ أن طبقة

مثقفة جليلة القـدر والشأن من أعلام الشيعة تؤازرني وتـؤيدني وتبعث لي بـرسائل التشجيع والتأييـد وتلح علي أن أسير في نهج التصحيح ليل نهار وبلا تعب ولا وجل ، وكنت أرى شبـابًا من الشيعة وصلوا إلى مـرحلة من الثقافة العـالية وهم يقفون مع التصحيح ويعتقدون بأنه الطـريق الوحيد المؤدي إلى إنقاذ الشيعة من البلاء الذي أحدق بها من كل جانب .

كنت أستمع إلى شباب مثقفين من الشيعة وهم يبكـون ويندبون حظ الشيعة لما أصابهم من سوء السمعـة في العالم واتهامهم بالإرهاب وبأعمال جنونية كلها كانت تصدر عنهم في يوم عاشوراء من كل عام في يوم ذكرى مقتل الحسين عليه السـلام ، حيث تعرض شـاشات التلفزة العـالمية على المجتمع البشري صـــورة بشعــة لآلاف منهم وهم يضربـــون رؤوسهم بالسيـوف وأكتافهم بالسلاسل والـدماء تسيل على جوانبهم وهم يقـولون واحسيناه . فوالله إن سيد الشهداء وإمام الثائرين وسيد شباب أهل الجنة وريحانـة رسـول الله ﷺ وهو الحسين بن علي بن أبي طـالب وابن فـاطمـة سيدة نساء العالمين لهو أول من يتبرأ أمام الله يـوم القيامة من هذه الشرذمة التي شوهت معالم ثورته وشوهت صـورة جهاده الطاهر، وشوهت المبادئ التي ثـار لأجلهـا واستشهـد بسببهـا ، وكم كنت أرى كثيرًا من الشيعـة المثقفين وهم يندبون حظ الشيعـة للأعمال التي ارتكبت في القطر الشيعي الكبير باسم المذهب الشيعي تارة وباسم الإسلام تارة أخرى .

لقـد كنت أسمع وأرى أن التصحيح بـدأ يعطي ثماره ، ولـولا تلك الـرقابـة التي فـرضتهـا بعض دول المنطقة على كتـاب التصحيح ، ولـولا الحصار الذي فرضه النظام الحاكم في إيران حول هذا الكتاب ومنع تداوله ونشر أي فصل من فصولـه ، أو حتى ذكر بيانه لكـان التصحيح قد قطع شوطًا طويلاً وعميقًا في الفكر الشيعي .

ولكن أملي كله معقود على يـوم غد عندما تشتد سواعـد ثلاثة ملايين طفل يتمتهم حـرب الشيعة مع الشيعـة وغير الشيعة في العـراق وعندمـا تشتـد سواعـد مائة وخمسين ألـف طفل يتمتهم محاكم الثورة الشيعيـة في إيـران التـي أرسلت آبـاءهم وأمهـاتهم إلى أعـواد المشـانـق جـورًا وزورًا وبطـلانًـا، ولقد قـاسـوا مـرارة اليتم والبـؤس والشقاء، فحينئـذ يكـون للتصحيح جيش يزحف على الباطل ويقمـع أهله ويأخذ ثأره من أولئك الـذين اتخذوا من البدع وسيلـة للسلطـة والسيطرة والاستبـداد والحرب.
وهنا أود أن أذكر قصة لها من الأهميـة مكان، حيث تثبت لنا كيف تخيف كلمة الحق ولو أطلقت في الفضاء البعيـد السلطة الظالمة الحاكمة؛ فقبل أكثـر من عـامين اتصل بي عبر الهاتف أحـد أقـربـائي من داخل القطـر الشيعي الكبير وألح علي أن أقبل التحدث مع الآمـر والناهي على الشيعة في إيران إنــه ابن الولي الفقيه المسيطـر على زمام الأمور صغيرهـا وكبيرها.
فقلت للوسيط، مـاذا يريد الرجـل مني أهو استرضاء أم خدعـة؟ وسواء كان هذا أو ذاك، فلا بـد أنه يحس بخطر يريد تفاديـه أو اتقاءه أو بفائدة يـريد أن يجنيهـا، ولولا ذلك لما فكـر قط أن يتنازل ويطلب التحـدث إلى عدو لـدود. وأضفت لمحدثي قائلا: قل لـه إن كانت الخدعة فإننـا نعوذ بالله منهـا، وإن كان استرضاء فأنـا أعده وعد الـرجال، ألا يصيبهم مني أذى في القـول أو العمل، إذا مـا أوقف حـرب الشيعـة مع الشيعـة وغير الشيعة، لقـد كفانـا ما أصـابنا من البـلاء وإراقة الـدماء وقتل الأرواح، وسألت الرجل الوسيط إذا كـان قد قرأ كتاب «الجمهوريـة الثانية»، وهل قرأ ما كتبته عن أبيه وهل قرأ عن نهايتهما؟

قال: إي والله قرأه كما قرأه أبوه ومع هذا يرغب في التحدث إليك.

فقلت: كلا الشرط هو الشرط.

وانقطع الحديث ولم تتوقف الحرب بعد هذه المحادثات، واستمرت قرابة عامين حتى كانت هزيمتهم بإذن الله .

وقبل أسبوعين أو أقل بقليل، إذا بمحدثي يطلبني عبر الهاتف ويعيد الكرة في القول ويقول: الآن وقد وضعت الحرب أوزارها فهل تقبل بالتحدث مع الرجل؟

قلت: لا أحب اللف والدوران وتضييع الوقت، قل لي بصراحة الرجال، ماذا يريد مني الرجل؟

قال: يريد أن يتحدث معك حول كتاب الشيعة والتصحيح .

قلت لصاحبي: وما شأنه بالشيعة وما شأنه بالتصحيح؟ لقد كفى الشيعة ما عانته على يده وعلى يد أبيه طيلة عشر سنوات، وما زالت تعاني على يد خلفائه ثم أضفت قائلا: ـ لقد سبق السيف العذل .

وقال: . . . .

وقلت: . . . .

وانتهى الحديث .

ذكرت هذه القصة التي بين أولها وآخرها ثلاث سنوات من عمر الزمان ولكنها تحكي بأن القوى الحاكمة على الشيعة مع ما لديها من الإمكانات الهائلة المادية والبشرية مع ذلك تحس بالهوان والذلة والضعف وكأنها تنتظر مصيراً لا مناص منه، وهذا المصير قد تحققه ثورة الثائرين أو تصحيح المصححين .

* * * *

(س): ما هو الحل؟

(ج): لقد تحدثنا كثيرًا في هذا النداء عن التصحيح. وما يسهل التصحيح أنه مقاطعة سلبية وليس عملا إيجابيًّا، وهذا يسهل رسالة الدعوة على الدعاة وعلى الشيعة معًا، ولكن ما الطريقة للوصول إلى إفهام العامة من الشيعة ماهية التصحيح وكيفية العمل به؟

وهنا فإني أوجه النداءإلى طبقتين متميزتين من الطبقات الشيعية، وهما الطبقة المثقفة والطبقة الثرية، أما ندائي إلى الطبقة المثقفة فهو أن طبع كتاب أو كتابين، أو إصدار نداء أو ندائين لا يضمن التصحيح في صورته الواسعة، لا سيما ونحن نرى أن النوافذ مغلقة حولنا فكيف نستطيع أن نطلق صوتنا ودعوتنا من النوافذ المغلقة، إلى عامة الشيعة؟ إن ما تسمعه الشيعة من وراء هذه النوافذ هو كمن يرى الشبح في الظلام، ولا يمكن أن يعطي التصحيح أكله إلا بعد أن تنتشر الدعوة وتقوم الطبقة المثقفة في أرجاء الأرض، وكل بلغته: لبيان التصحيح. وهنا أخاطب الذين بايعوا التصحيح واستجابوا لندائه، وإن كانوا قلة في الوقت الحاضر، إلا أن هذا العدد سيكبر ويكبر بناءً على حتمية التاريخ، وسترجح كفة العقل والمنطق على كفة السذاجة والجهل والدجل والخزعبلات. ولقد أثبت التاريخ أن الأمور العظام قامت بها فئة قليلة وبشر بها أناس قليلون، سرعان ما انتشر الحق محل الباطل كانتشار النار في الهشيم، إن اللغة التي يجب أن نخاطب بها الشيعة الإمامية هي لغة العقل والمنطق التي استوحيناها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح وعمل أئمة الشيعة عليهم السلام. إن كل ما يمليه التصحيح هو إقناع الشيعة بالمقاطعة الشديدة للبدع والخزعبلات التي أمليت عليهم، وهذا أمر سهل لو استطاعت الطبقة الداعية للتصحيح

أن توضحه للشيعة، وأن تربط ربطا مباشرا بين المآسي التي حلت بهم وبين هذه البدع، وأن توضح الصلة بينهما وبين ما حل بالشيعة بسببها. وهذا يعني بكل صراحة أن على الشيعة أن يحسوا بقلوبهم وعقولهم ومشاعرهم ووجدانهم أن ما أصابهم من أذى ولظى عبر التاريخ إنما كان بسبب هذه البدع والتجاويف والتجاعيد التي أدخلت على العقيدة الشيعية الخالصة المتمثلة في حب أهل بيت رسول الله والأخذ بمذهب الإمام الصادق الفقهي.

إن على الطبقة الداعية للتصحيح أن تخاطب الشيعة بعبارات واضحة، وتضع النقاط على الحروف وتقول: يا معشر الشيعة إن الذين جعلوا الإمامة إلهية إرثية وجعلوها أصلا من أصول الدين، واللهِ لم يقصدوا من ذلك رفع شأن أئمة هداة مهديين، فلأئمتنا من علو الشأن ما يعلو الفرقدين، ولكن الغرض من هذا إنما كان لنقل صفات الأئمة وخصائصهم وما نسب إليهم من صلاحيات إلى الفقهاء وولاة الفقه لكي تحكمكم هذه الفئة إلى يوم القيامة مدعين لأنفسهم كل الفضائل من تقى وعقل وحكمة وعصمة، ولجعل أنفسهم في مقام رسول الله ﷺ ولإضفاء نوع من صفات الألوهية على أنفسهم، حيث ادعوا بأن الراد عليهم كالراد على الله يجب قتله وقلعه. فوالله يا معشر الشيعة إن هؤلاء الفقهاء ومدعي الفقه عباد أمثالكم، مَثَلُهم كما تنص عليه الآية الكريمة:

﴿**يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**﴾ (الحج: ٧٣).

إن الواجب الأساسي على الطبقة المثقفة الموالية للتصحيح والداعية إليه أن تفهم تلك الفئة الساذجة من الشيعة الإمامية بأن هناك ربطًا

مصيريًّا بين معاناة الشيعة والبدع والخزعبلات التي ألصقت بالعقيدة الخالصة واستغلتها الزعامات المذهبية وبنتْ عليها صروح الجبابرة.

إن أكثرية الشيعة في تاريخنا المعاصر تعيش في القطر الشيعي الكبير وهي تعاني فقدان أبسط حقوق الإنسان، فالنظام المذهبي الذي يحكم هذه الأكثرية بالنار والحديد وسلبهم الحرية الفردية والاجتماعية إنما قام بذلك مستندًا على البدع التي تؤيد سلطة الفقهاء. ويعني هذا أن هناك صلة مباشرة بين الاستبداد وبين ذلك النظام، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن كل ما يترتب على الحكم الاستبدادي من تخلف وجوع وفقر وجهل ومرض إنما هو بسبب فقدان الديمقراطية التي تستطيع الأمة أن تنهض في ظلها بكل واجباتها ومقوماتها. فإن النظام المذهبي الاستبدادي هو السبب المباشر لتلك المآسي التي هي النتيجة المباشرة للحكم الاستبدادي الفردي.

إن من المؤسف حقًّا أن نرى المجتمعات الشيوعية الملحدة تثور ضد الطغيان، والاستبداد، وتنال بعضها حريتها، وتقرر مصيرها وفق إرادتها وخمسون مليونًا من الشيعة الذين يذكرون اسم الله جل جلاله ليل نهار يعيشون في ظل استبداد قاتم ليس له مثيل في تاريخ البشرية. إن صلة المآسي التي تحل بالشيعة ليل نهار بنظام الفقهاء والبدع التي بنوا عليها طغيانهم المخيف لا تنحصر في سلب الحرية الاجتماعية والفردية والفكرية من الشيعة، بل أخذت تتغلغل في داخل أعماق المجتمع الشيعي، حيث جعلتهم ضحايا العقيدة والسياسة معا، فلو أن الشيعة الإمامية فكرت مليًّا لعرفت أبعاد المؤامرة التي حاكها الفقهاء ضدها. وهنا أعدد بعض ما أدخل في العقيدة الشيعية والتزم الشيعة بها وهم لا يعرفون الصلة بين ذلك وبين المعاناة التي يعانونها.

إن أول هذه الأمور هو تقليد عـوام الشيعة للفقهاء والمجتهدين تقليدًا أعمى، وهذا التقليـد جر عليهم من المصائب ما لا يعـد ولا يحصى، فيا ترى ماذا كـان الأفضل للشيعة الأخذ بفقه الإمام الصـادق أم الأخذ برأي المنتمين إليه؟ وهنـا يأتي دور الطبقة المثقفـة أن تُفهم الشيعـة أن عليها أن تأخذ بفقه الإمـام الصادق وألا تأخذ لنفسها إمامًـا وفقيهًا غيره، وبذلك تأخـذ الأحكـام من منهلهـا الأساسي الصحيـح. وهنا أشير إلى المعـانـاة الثانية التي تعانيها الشيعة، وهي ترهق كاهلهم الاقتصادي دون أن يكون في ذلك رضا الله ورسـوله، إنه الخمس في أربـاح المكاسب الذي ابتـدعه ولاة الفقه لكي يشـاركوا الشيعة في أرباح مكـاسبهم، ويجب على الشيعة ألا يخضعوا لهذه الضريبة التي ما أنزل الله بها من سلطان. إن هناك معاناة ثالثة تعانيها الشيعة ولها صلة مباشرة بالسير وراء المجتهدين وولاة الفقه، إنها العمل بالمتعة (الزواج المؤقت) التي جعلت من أعراض الشيعة سلعة تبـاع وتشترى في أسـواق الـرقيق. إن هـذا العمل القبيح ليس أكثـر من إبـاحة الجنـس، وإن بنات الشيعـة يـدفعن ثمنه البـاهظ. ونحمـد الله ونشكره أن هذه العملية القبيحة ليست منتشرة في العالم الشيعي كله، بل هي محصـورة في داخل القطـر الشيعي الكبير، ولست أدري كيف أبـاح الفقهاء أعراض البنات الشيعيات، ولكنهم أحصنوا بناتهم.

وهناك معاناة أخرى يعانيها الشيعة إثر تبعيتهم لأولئك الفقهاء الذين سكتـوا عن الحق، إنها المعانـاة التي يعـانيهـا الآلاف من الشيعة في يـوم عاشوراء من ضرب السيوف على الـرءوس، وضرب الأكتاف بالسلاسل. إن هذا العمل بغض النظر عن المعاناة الجسـدية، فإنما هو تشويه لصورة الشيعـة في العالم، وفي الـوقت نفسـه إضرار بـالنفس وهو أمـر منـاقض لكرامة الإنسان.

وأكرر مرة أخرى أن من أهم الـواجبات على دعاة التصحيح أن يبرهنوا للشيعة الإمـامية أن هنـاك صلة عضـوية وربطـا مصيريًّا بين مـا تعانيـه الشيعة في القطـر الشيعي الكبير اجتماعيًّـا وسياسيًّـا واقتصاديًّـا، والبدع التي أدخلت في العقيدة الشيعية، فيا ترى لولا الحالة النفسية التي دربت ولاة الفقـه الشيعة عليهـا والتلاعب بعقـول الساذجين منهم عن طـريق الشعوذة والـدجل وإقناعهم بأن طـريق النجاة إنما هو الخضـوع للأعمال والأفكـار الجائرة التـي اتخذوهـا شعـــارا لحكمهم، وأن الموت والشنق والتعـذيب هو حقًّـا جـزاء من يقف ضـد أطماعهم أو يعارض أهـواءهم وسلطانهم، هـل كانت الشيعـة في القطر الشيعي الكبير بمـلايينه تصبر على ما تعـانيه مـن بؤس وشقاء أم كـانت تقوم قيـام رجل واحـد، فتدك الظالمين دكًّـا وتجعلهم كعصف مأكول؟ إن الـذي يحز في نفسي أن نقرأ في الصحف العالمية قبل أيـام أن شعب أستراليا الذي يدين بـالمسيحية هاج وماج ضـد رئيس وزرائه الـذي أهان مواطنًـا عجوزًا بكلمـة نابيـة وطلب استقـالتـه وإخـراجـه من الحكم. وفي القطـر الشيعي الكبير مئـات من الشيعة المسلمين يساقون إلى المجزرة كالكبش في كل يوم وساعة. والناس كأن على رؤوسهم الطير.

إن رسـالـــة التصحيح هي أن تغير الإنسـان الشيعي مـن أداة طيعـة للظـالمين إلى عناصر منـاضلـة ثائرة ضـد طغيـان الفقهاء القـابضين على السلطـة، وهذا لا يتم إلا بتغيير أفكـار الإنسـان الشيعي الذي يضمنـه التصحيح. وهنا أود أن أشير إلى معاناة نفسيـة أخرى تعانيها الشيعة ولها صلة مبـاشرة بالبدع التي يـدخلها الفقهـاء على المذهب إنها (التقية) ولا أعتقد أنه يوجد شيء أكثر مقتًا عند الله ورسوله من هذا الذي يسمى بهذا الاسم. والتقية التي تعني الازدواجية بين القول والفعل تكفي وحدها أن تنسف كل المبـادئ الخيرة عند الإنسـان. ولا شك أن المعانـاة الجسديـة

والروحية والنفسية التي تترتب على التقية من الوضوح بمكان، وأن من المؤسف أن فقهاءها نسبوا التقية إلى إمام عظيم من أئمتنا وهو الإمام الصادق. ولا شك أن إمامنا العظيم بريء مما نسبوه إليه وهو أعلى وأجل من أن يأمر بشيء يتناقض مع مبادئ أهل بيت رسول الله الأساسية المتمثلة في ثورة الإمام الحسين، وهكذا في مبادئ السلف الصالح من صحابة رسول الله.

وهناك معاناة نفسية وجسدية أخرى تعانيها الشيعة من البدع التي أدخلت في عقيدتها، إنها الغلو الذي نراه مستحكمًا في عقول كثير من الشيعة، وحتى عند كثير من الفرق الإسلامية الأخرى، ولكن بصورة أخف ظهورًا وآثارًا. إن طلب الحاجة من غير الله وإشراك غيره في سلطانه وغير ذلك من الأمور الغلوائية التي تصدر من الشيعة عند قبور الأئمة والأولياء لها صلة مباشرة بالمعاناة التي نعانيها نحن في هذه الدنيا، وقد يسألني سائل: ما العلاقة بين طلب الحاجة من غير الله وإشراك غيره في سلطانه وما يعانيه المرء في حياته الاقتصادية والاجتماعية والعائلية والصحية والنفسية؟ فأقول بكل صراحة ووضوح: إننا عندما نمعن النظر جيدًا في الحوائج التي يطلبها الناس في مراقد الأئمة والأولياء مباشرة منهم نرى بوضوح أن أكثر هذه الحوائج لها صلة مباشرة بالحياة الدنيا وقليل منها يخص الحياة الأخرى. وأي معاناة أكثر من أن يطلب الإنسان حاجاته من أناس لا يستطيعون إجابتها. وأي معاناة أكثر من أن يكون دعاؤنا وطلب حوائجنا في غير مظانه، إن مظان استجابة الدعوات هو التوسل إلى الله تعالى حسب أمره وصريح قوله في القرآن المنزل على رسوله: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾. ولم يقل ادعوا غيري نبيًا كان أو إمامًا حتى أستجيب لكم أو يستجيب لكم، وهنا أود أن أشير إلى عناء آخر بدأت الشيعة تعانيه في القطر الشيعي الكبير، إنه مشاركتها طوعا ورغبة أو جبرًا

وقسرًا في بناء صرح شاهق على قبر ولي الفقيه واتخاذ ذلك القبر مقرًّا للطواف وطلب الحاجات والتوسلات، فيا ترى أن بلدا بمئات الآلاف من سكانه يفترشون الأرض ويلتحفون السماء هل من الأفضل لهذا الشعب أن تخصص تلك الملايين في بناء قبر مشيد نهى عنه رسول الله ﷺ[1] أو تنفقها في مشاريع عمرانية واقتصادية تنهض بها الشيعة من بؤسها الاقتصادي؟ ثم إن الأدهى من ذلك أن هذا القبر المشيد والقبة الذهبية تبنى على عظام نخرة كان صاحبها سببا في شقاء الشيعة وبؤسها. وهكذا نرى أن العقل الاجتماعي الساذج يسير نحو الانحدار عندما يفقد القائد المخلص والكلمة الصحيحة ويحبذ الأعمال الانتحارية بدلا من الأعمال الخلاقة، حقًّا يقع على عاتق الطبقة المثقفة الداعية إلى التصحيح عبء ثقيل ألا وهو الاستيقاظ.

وأخيرًا، فإن الغرض من التصحيح أن تثور الشيعة على التقاليد التي دربتهم الزعامات المذهبية عليها. والتصحيح يعني أن تعتقد الشيعة اعتقادا جازمًا أن القيام بشؤون الدين ليس مهنة أو حرفة وأن من امتهن الدين واتخذه مهنة أو حرفة يعيش من ورائها فهو مستغل للدين أبشع

---

(١) جاء في وسائل الشيعة للإمام المحقق المحدث الحر العاملي الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٨٦٩.

أ ـ عن محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبرا إلا سويته.

ب ـ عن محمد بن الحسين بإسناده عن علي بن الحسين عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب عن علي بن أسباط عن علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن البناء على القبر والجلوس عليه هل يصلح؟ قال: لا يصلح البناء عليه...

ج ـ عن محمد بن أحمد بن يحيى بن يعقوب بن يزيد عن زياد بن مروان القندي عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نهى رسول الله ﷺ أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو

الاستغلال. إن رجل الدين الذي يـدعي الفقاهة ليس زعيماً اجتماعيًّا ولا سياسيًّا ولا اقتصاديًّا، إنـه كسائر أفراد المسلمين يستشيره الناس في شؤون الدين وليست الشيعة ملزمـة بالعمل على رأي شخص خاص منهم، بل للشيعة الخيار في أن تختار رأي من تشاء حيـا كان ذلك المستشار أم ميتًا. كما أن رجل الـديـن ليس لـه زي خـاص؛ لأن في عهـد رسـول الله ﷺ والسلف الصـالح لم يكن للمختصين بشـؤون الـدين زي يخصهم. كما لم يتخذ معلم الدين في ذلك الوقت أجـرًا على تعليم الدين والفقه، بل كان يقوم بعمـل آخر لضمان معيشتـه. وكلنا نعلم أن الخليفـة أبا بكـر في يوم انتخـابه خليفـة للمسلمين ذهب إلى دكانـه في سـوق المدينة حتى يبـاشر عمل البيع والشراء الـذي كان يـرتزق منـه، فعندمـا اجتمع الناس عليـه يطلبـون منـه أن يترك عمله ويجلـس في مسجد رسـول الله ليقضي شـؤون المسلمين قال لهم كلمته التي لا ينساها التاريخ: (فمن أين يعيش آل أبي قحافـة؟).

وهذا هو الإمام علي كان يحصل على رزقـه من كد عمله في بستان كان يعمل فيه في ظـاهر الكوفـة. وهذا هو الإمام البـاقر والد الإمـام الصادق يلتقيه رجل على قارعة الطريق وهو في طـريق عودته من مزرعته التي كان يعمل فيها وهو يتصبب عرقًا فيلومـه الرجل بكلمة غير مهذبة فتثير الإمام غضبًا ويقـول له: إني أتحمل هـذا العناء حتى لا أكـون بحاجـة إلى لئام النـاس أمثـالك. إن على الشيعـة أن تنظـر إلى رجل الـدين في حجمـه الحقيقي والطبيعي وأن كل مـا يعطاه من منـزلة وإكـرام يجب أن ينبع من الآية الكريمة: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

إن الفقيـه الشيعي كسـائر فقهاء المسلمين ليـس له أكثـر من صـوت واحد، ولكن عندمـا يدعي أحدهم الولايـة على المسلمين ويزعم أن على المسلمين الامتثـال لأوامـره والانتهاء عن نـواهيـه في كل شأن من شـؤون

الدنيا والدين، فإنما يقصد بذلك استغلال الفرد والإنسان، بل يقصد استعباد الإنسان والإنسانية. وهنا يقع على عاتق الشيعة مقارعتهم بالسيف والقلم. هذا إذا ما أرادت الشيعة أن تعيش حياة حرة كريمة مليئة بالفضائل والخيرات. وأما إذا أرادت أن تعيش كما كانت في بؤس وشقاء فلتستجب لأدعياء الإمامة وهي تتحمل وزر انقيادها لهؤلاء الأدعياء في هذه الدنيا. وهنا أوجه ندائي إلى فئتين من الشيعة: إلى دعاة التصحيح و إلى أصحاب المال من المؤمنين بالتصحيح.

أما الفئة الداعية إلى التصحيح فيجب عليها أن تحصر الخلاف بين الشيعة والسنة في خلاف فقهي، فما دام كتابنا واحدًا ونبينا واحدًا وقبلتنا واحدة وتجمعنا أصول العقيدة وأركان الإسلام، فالخلاف بيننا وبين الفرق الإسلامية الأخرى خلاف فقهي وحسب، لا فرق بين سني وشيعي إلا بأن يسلك الشيعة فقه الإمام الصادق وتسلك السنة فقه أئمتها، وما عدا هذا الكلام فالغرض منه الوقيعة بين الشيعة وبين الأكثرية الساحقة من المسلمين كي تضمن السيادة والسيطرة والأمر والنهي للمفرقين الذين بنوا على الفرقة أمجادًا عظامًا لا مثيل لها.

على الطبقة الداعية أن تبين للشيعة الإمامية أن الغرض من التصحيح هو أن يكون التقاء الشيعي بالسني مثل التقاء الحنفي بالمالكي، والحنفي بالشافعي والحنبلي. وأن الشيعة عندما تصل إلى هذه المرحلة من الوفاق والأخوة، فحينئذ لا يجرؤ فقيه من فقهاء الشيعة أن يسمي حرب الشيعة مع إخوة مسلمين حرب الإسلام مع الكفر، ولن يحدث بعد ذلك اليوم أن يشهر آلاف من الشيعة السلاح في وجه آلاف من إخوانهم الشيعة وغير الشيعة.

إن على الطبقة الداعية المثقفة من الشيعة أن تفند الطرق والأساليب

التي أحكم الفقهاء بواسطتها الطوق حول عنق الشيعة وتدحض الروايات التي نسبوها إلى أئمتنا الهداة المهديين زورا وبهتانًا ، روايات في الفرقة والتقية وإعطاء صورة قاتمة عن عصر السلف الصالح وصحابة رسول الله ﷺ ونسف كل ما يمت إلى ذلك العصر العظيم بصلة .

على الطبقة الداعية المثقفة أن تقوم بعقد مؤتمرات تدعو إليها مفكري الشيعة والمثقفين ليتدارسوا بكل إمعان الترابط العضوي الوثيق بين محنة الشيعة المادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والبدع التي ألصقت بالعقيدة الشيعية وأن تقوم بغربلة كتب الروايات والأحاديث من كل ما فيه تجريح للسلف الصالح من الصحابة وتفريق للمسلمين والأمور التي تتناقض مع العقل الإنساني السليم ، وأن تقوم بطبع هذه الكتب ونشرها وتوزيعها في البلاد الشيعية والإسلامية لتحل محل الكتب المفرقة .

على الطبقة الداعية المثقفة من الشيعة الإمامية أن تجعل من ذكرى الإمام الحسين ذكرى شجاعة وفضيلة وأخلاق ودين وتوحيد صف كما كان ينطق به الإمام الحسين واستشهد لأجله لا أن تكون هذه المجالس مجالس فرقة وشقاق وأعمال مشوهة لصورة الشيعة ومناقضة للذوق والعقل .

أما ندائي إلى الطبقة المثقفة الثرية التي تريد التصحيح وتؤمن به وفي يدها كل الإمكانات التي تؤهلها للقيام بهذه المسؤولية الكبرى في حياتها ؛ وذلك لضمان سعادتها وسعادة أولادها والأجيال القادمة وبني قومها والمسلمين جميعا ، فأود أن أخاطبهم بهذا النداء :

يا معشر الشيعة ، إنني أقصد بهذا النداء أنتم أثرياء الشيعة لا غيركم أنتم الطبقة التي بيدها المال الذي أنعم الله عليها بفضله ، إن التصحيح يحتاج إلى مساهمة كبيرة وفعالة منكم لشؤونه ، إن التصحيح إنما هو

لأجلكم وأنتم أول المنتفعين بـه؛ فلـذلك أنتم أولى بأن تنفقـوا على إنجاحـه. فوالله إنني أخجل من نفسي عندمـا أطلب من أخ مسلم كريم لا عـلاقة لـه بالتصحيح إلا بقـدر ما يهم المسلم شأن أخيـه المسلم، أن يقوم بطبع كتاب أو يأخذ على عاتقه أمرًا من أمور التصحيح، وفي الشيعة أثرياء وفيكم من ﴿**إن مفاتحه لتنوء بـالعصبة أولي القوة**﴾ فيكم أصحاب البنـوك وفيكم من يعـد من أكبر الأثريـاء في الشرق والغـرب، وفيكم من يستطيع أن يجهز جيشًا للـدعوة بمفرده، وفيكم من يستطيع أن ينفق على غربلـة مئات الكتب الشيعيـة وإعادة طبعها ونشرهـا وتوزيعهـا بدون أن يتحـرك لـه جفن، ومع كل هـذا فلـم أسمع من أحـدكم صـوتًـا، وإذا وصلني منكم خطـاب فكان يتضمن سطـورًا قليلة للتشجيع ثم الـدعاء بالتوفيق.

إن من المؤسف حقًّا أن أثرياء الشيعة الإمامية لم يتكاتفوا ولم يتعاضدوا ولم يساهموا في التصحيح، وأكون أنا مضطـرًا لأمد يدي إلى إخوة كما قلت لا علاقة لهم بالمحنة الشيعية ولا بأسبابها إلا بقدر ما يهم المسلم محنة أخيه المسلم.

فلذلك أوجـه هذا النداء إلى الطبقة الموسرة المتمكنة الغنيـة من الشيعة الإمـاميــة وأطلب منهم أن يقفـوا معي في خـط التصحيح وينفقـوا على مشاريعـه؛ لأن التصحيح هو لهم ولأجلهم ولإنقـاذ سمعتهم وإنقاذهم من طوق العبودية الذي طوقهم إياه ولاة الفقه والفقهاء والمجتهدون، فها هم أولى بالسير في ركبه ومساندة مبادئه.

إنني أعرض في هـذا النداء الخطة التي أريـد تنفيذها بمساعـدة إخوة كرام، وهذه الخطة تحتاج إلى مال كثير. وأطلب من أغنياء الشيعة ورجال الأعمال ولا سيما تلك الصفوة الخيرة التي كـانت تقلد جدنـا الإمام الأكبر

السيد أبو الحسن رحمه الله ولا زالت على قيد الحياة في أرجاء الأرض الفسيحة العريضة أن تساهم في هذه الخطة، وأن تشارك فيها حسب قدرتها واستطاعتها، فمن شاء أن يتبنى خطة من الخطط حتى يقوم بها بمفرده، ومن لم يستطع ذلك فليساهم فيه حسب استطاعته، وهذا لا يعني أن ما أريد القيام به وأطلب من أثرياء الشيعة على وجه الحصر هو بمعزل عما طلبته من الطبقة الداعية المثقفة التي شملها القسم الأول من النداء.

الخطوات التصحيحية

أما خططي للتصحيح والتي أطلب من الشيعة الإمامية أن تساهم فيها، فهي تتلخص في:

(١) اختيار فريق من أهل العلم والفضيلة للقيام بغربلة كتب الروايات والأحاديث من الروايات التي نسبت إلى أئمتنا الهداة المهديين زورًا وبهتانًا، إنها الروايات التي استند عليها ولاة الفقه والمجتهدون في إدخال البدع والتجاويف والتجاعيد في مذهبنا النقي الصافي الوضاء. إن تلك الروايات لعبت دورًا هدامًا في التفرقة وضرب الشيعة بالسنة وبالعكس، وفي تلك الروايات أيضًا توجد أمور كلها تسير في مصلحة الفقهاء وإحكام سطوتهم علينا، كما أعني من تلك الروايات أيضًا كل ما يتعلق بالتقية والمتعة والأمور الخارقة التي تنسب إلى الأئمة، وفي كتاب الشيعة والتصحيح، أن هذا العمل الجاد الضخم يحتاج إلى مال وجهد، فغربلة الكتب وحدها لا تعني شيئًا إلا إذا طبعت الكتب المنقحة المصححة ووزعت ليصح المثل المعروف: العملة الجيدة تطرد العملة الرديئة من السوق. إن هذه الكتب تربو على المئات من المجلدات الضخمة وبدون المساهمة

المالية الكبرى لن يتحقق منها شيء.

(٢) لقد وضعنا كتاب: (فقه الصادق) ليكون مرجعًا للشيعة في المسائل الفقهية التي يحتاج إليها الشيعة، وهذا الكتاب يجب ترجمته إلى اللغات الفارسية والأردية والهندية والتركية والإنجليزية، أي اللغات التي يتكلم بها الشيعة في العالم، ومن ثم طبع هذه الترجمات، وهذه الخطوة هي من أهم الخطوات لخلاص الشيعة من الاستعباد والاستبداد الفكري المتمثل في تبعتهم المطلقة لآيات الله وحجج الإسلام وثقة الإسلام حسب التعابير والألقاب التي لقب هؤلاء الآيات والحجج بها أنفسهم، ولا خيار للشيعة فيها. وهنا أود أن أبين أمرًا ذا بال وهو أن هذه الألقاب لم تكن معروفة في عصر الرسول ﷺ ولا السلف الصالح ولا القرون الإسلامية الأولى. أما لقب آية الله فإنه محرف من لقب مجوسي كان يلقب الكهنة به ملوك الفرس وهو ظل الله فحرف إلى آية الله ليصبح لقب ولاة الفقه. إن تبعية الشيعة وتقليدهم للإمام الصادق عليه السلام مباشرة وبلا لف ودوران هو خير لهم وأضمن لدنياهم وآخرتهم. وبذلك نوفر على الشيعة الإمامية الحرية من أسر فكري دام اثني عشر قرنًا. فما دام ولاة الفقه يستعبدون الشيعة لأنهم نقلة فقه الإمام الصادق فقط، فلا شك أن من الأرجح والأفضل أن يرجع الشيعة إلى المصدر الأول مباشرة وبدون أن تدفع الضريبة الباهظة الكبرى التي فرضها عليهم ولاة الفقه.

(٣) يجب تأمين مركز دائم لتهيئة الدعاة إلى التصحيح ليكونوا امتدادًا للفكرة؛ فإن ـ موسى الموسوي ـ يموت ولكن الفكرة يجب أن تبقى حية لا تموت حتى تؤتي أكلها كل حين. وهذا المركز يجب أن يضم

بين جدرانـه علماء ومثقفين من الشيعة الذين آمنـوا بفكرة التصحيح ويقـوموا بـالاستمـرار في الخطط التي أشرنـا إليها آنفًـا والخطط التي سيأتي ذكـرهـا . إن فكـــرة التصحيح يجب ألا تتـوقف على شخص واحـد أو اثنين إنها رسالـة لها أعباؤهـا العظيمة ، ويجب أن يقـوم بها فريق مخلص جيلا بعد جيل . وهذا المركز قد يكون مقره في أمريكا ، وقد يكون في كنـدا وقد يكون في سويسرا . وقـد يسألني سائل : لماذا لا يكـون في إحدى البـلاد الإسلاميـة ؛ لأن الـدعوة هي العـودة إلى عصر الرسالة ، وما كان عليه السلف الصالح وفقه أهل البيت؟ ولا بد من الإجابة عن هذا السؤال بجملة واحدة : لو كنت أحصل على شبر واحد من الأرض في البلاد الإسلامية العـريضة الوسيعة الممتدة من مضيق جبـل طــارق إلى بحـــر الصين أستطيع أن أتحدث عن رسالتي بحرية ولا يزورني شرطي في آخر الليل أو أطبع كراسًا واحدًا حول التصحيح بدون أن يمـر علـيَّ الرقيب لاخترت ذلك الشبر من الأرض ، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله .

يحز في نفس كل مؤمن برســالة التصحيح أن يرى صرحًا شـاهقًا بنته أموال الشيعة في قلـب نيويورك بملايين من الـدولارات ، وهو مكان لبث الفـرقـة والعنصريـة بين الشيعـة أولاً ، ثم بين الشيعـة والفـرق الإسلاميـة الأخرى . وهكذا تصرف أمـوال الشيعة بطـلانًا وزورًا في هدم الـوحدة الإسلاميـة وتشويـه صورة الشيعة بـدلاً من صرفها في الوحدة الإسلامية ومصلحة المسلمين وشؤون التصحيح .

(٤) كنت أعتقـد ولا زلت متمسكًا بعقيـدتي أن أمـر الشيعة في إيـران إذا أصلح ، صلحت أمـور الشيعة في أمـاكن أخرى من العـالم . وكنت أعتقد أن التصحيح إذا أخذ طريقـه إلى قلوب الشيعة في إيران ، فإن

الشيعة في أماكن أخرى من العالم تتأثر بالتصحيح. ولذلك همي وجهدي منصبان على إنقاذ الشيعة في إيران من المحنة التي كتبوها وفرضوها على أنفسهم. وبما أن الأجواء مغلقة إغلاقًا محكمًا على كل فكرة تهدد مصالح النظام المذهبي، فالتصحيح لا يستطيع أن يدخل إيران إلا عن طريق الشيعة الذين يسكنون خارج إيران ولهم اتصال بالداخل عن طريق الأهل والأسرة أو التجارة أو عن طريق الشيعة الذين يخرجون من إيران للالتقاء بذويهم ثم يعودون إليها.
ولذلك أرى أن تأسيس تلفزيون فارسي في المهجر لنصف ساعة أو ساعة في كل أسبوع يخاطب الجماهير الشيعية ويبين لهم ضرورة التصحيح سيؤدي دورًا كبيرًا للتوعية، ومن ثم إيصال النداء عبر الحناجر إلى شيعة إيران. وأنا واثق أنه لو وصل نداء التصحيح إلى شيعة إيران عبر الحناجر أو عبر (الكاسيت) فإن ملايين من شيعة إيران المضطهدين في ظل النظام المذهبي وبدعه وتجاويفه وتجاعيده سينضمون إلى مسيرة التصحيح.

(٥) التصحيح بحاجة إلى مجلة باللغات التي يتكلم بها الشيعة: العربية والفارسية والأردية والهندية والإنجليزية، وإصدار المجلة بالمستوى المطلوب أمر يحتاج إلى ميزانية مالية تتناسب وهذه الخطوة الكريمة. وبحاجة إلى أقلام أعلام من المصححين من الشيعة وغير الشيعة أيضًا، وهذا المشروع هو أحد المشاريع التي تعزز التصحيح وينبغي البدء به.

(٦) لجنة التصحيح التي تضم أعلامًا من الشيعة المؤمنين بالتصحيح قد تدعو إلى عقد مؤتمر عالمي يضم علماء الشيعة الموالين لفكرة التصحيح ـ ولا نقصد بالعلماء في سياق حديثنا هذا رجل الدين أو الفقيه أو الذين لبسوا الزي الديني ـ بل كل عالم شيعي في أي

اختصـاص وأي مثقف شيعي مهما كـان اختصاصـه ولبـاسه وهـو يعـرف المحن التي حلت بـالشيعـة عبر التـاريخ بسبب الانحـراف الـذي أحدثـه رجال الـدين والمذهب في عقيدتهم الصـافية النقيـة الظاهـرة. إن عقد مـؤتمر سنوي لهؤلاء الأعـلام الشيعة أمـر ضروري لتدارس الخطـوات التي يجب أن تتخذ للتصحيح، ولا شك أن كل من يحضر هذا المؤتمر من أعلام الشيعة ويعود إلى مقره سيكون رسولاً للتصحيح. وعقد المؤتمر هذا أيضا يحتاج إلى ميزانية ضخمة يجب أن يقوم بها أبناء الشيعة الجعفرية وأثرياؤها، وأن يقوموا بكامل أعبائه.

إن أثـرياء الشيعـة والموسرين ورجال الأعمال من المؤمنين بـالتصحيح مـدعوون للمسـاهمة في الخطط التي نود القيـام بها كل بقدر مـا يستطيع وتقتضي أحوالـه. ومن يمنّ الله عليـه بالمشـاركة في هـذا المشروع عليه أن يشكر الله ويحمده على هذا العمل الذي فيـه خير للشيعة كجزء من الأمة الإسلامية وخير للإسلام في صورته العامة، وأن يعلم أنه ساهم في إسعاد أمته وتحريرها فكريًّا وجسديًّا وماديًّا ليس للجيل الذي يعاصره فحسب، بل للأجيال القادمة حتى قيام الساعة.

شعار التصحيح

على كل مساهم شيعي في التصحيح بماله أو بقلمه أو بلسانه أو بجهده أن يعلم أن شعار التصحيح هو ما يلي :

(١) الالتزام المطلق بالعودة إلى عصر رسول الله والسلف الصالح والإمام علي عليه السلام في أصول الدين وأركان الإسلام وفروعه .

(٢) الأخذ بمذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق الفقهي .

(٣) نبذ البدع والخزعبلات التي أدخلت في عقيدتنا ونسبت إلى الإمام الصادق أو أئمة آخرين زورًا وبهتانًا مثل التقية والمتعة والغلو وتجريح السلف الصالح والمواضيع الأخرى التي فصلناها في كتابنا «الشيعة والتصحيح» وكتابنا «عقيدة الشيعة الإمامية في عصر الأئمة وبعدهم» .

(٤) النظر إلى المذاهب الأخرى كمذاهب فقهية نختلف معها في المسائل فقط مثلما يختلف الحنفي مع المالكي ، والشافعي مع الحنبلي ما دام منهل الأحكام هو القرآن الكريم وسنة رسول الله و إجماع الأمة والسلف الصالح ، والعقل عندنا والقياس الذي يتفرع من العقل أيضًا في المذاهب الإسلامية الأخرى ، ويكون شعارنا : كلنا على حق ولا خلاف بيننا إلا في المسائل الفرعية الاجتهادية التي من أصاب فيها فله أجران ، ومن لم يصب فيها فله أجر واحد . كما بشر بذلك رسول الله ﷺ .

(٥) شأن الفقهاء عندنا شأن المتخصصين في العلوم الأخرى، فلا سلطان لأحد منهم علينا، ونحن الشيعة أحرار في أن نأخذ برأي أي عالم متخصص في الفقه حيًّا كان أو ميتًا بدون أن تكون بيننا وبينهم شيء من العبودية أو الإطاعة لأوامرهم. وعلى الشيعة أن تمتنع منعًا نهائيًّا من إعطاء أموالهم إلى الفقهاء باسم الخمس في أرباح المكاسب. فعلى الفقيه أن يكسب قوته بعمل يقوم به، وإذا أراد أن يكون عالةً على الشيعة فعليه أن يقنع بما يكفي قوته وقوت عائلته.

(٦) إن استيقاظ الساذجين وضعفاء العقول من أبناء الشيعة الإمامية هو المهمة الأساسية في طريق التصحيح، فعلى دعاة التصحيح المصارحة بالحق والاستمداد من قوته، فالحق هو صوت الله الذي يعلو على كل صوت وعلى كل باطل.

على الشيعة أن تعلم علم اليقين أن الخمس في أرباح المكاسب بدعة ابتدعها الفقهاء، وهذا هو الشيخ حر العاملي في كتابه الضخم «وسائل الشيعة» ـ الذي يعد مصدرًا مهمًّا من مصادر الاستنباط عندنا نحن الشيعة الإمامية ـ يروي عن الإمام علي وعن الإمام الصادق، وعن الإمام الرضا روايات صريحة في الخمس ليس إلا في غنائم الحرب. والروايات كما جاءت في وسائل الشيعة عن علي عليه السلام: الخمس يجري من أربعة وجوه: من الغنائم التي يصيبها المسلمون من المشركين ومن المعادن ومن الكنوز ومن الغوص [1].

محمد بن علي بن الحسين بإسناده قال: سألت أبا عبد الله (الإمام الصادق) عن الخمس فقال: الخمس إلا في الغنائم خاصة، ويضيف

(١) وسائل الشيعة ج٦، ص ٣٢٠ وص ٣١٢ طبعة النجف.

الشيخ العـامـلي. . . ورواه الشيخ في إسنـــاده (أي الشيخ الطـوسي) عن الحسن بن محمد[1]، وفي الـوسائل أيضـا. عياشي في تفسيره عن سماعـة عن أبي عبـد الله وعـن أبي الحسن عليهما السـلام (الإمـام الـرضـا) ليس الخمس إلا في الغنائم[2].

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

صدق الله العظيم

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص ٣٨٣ طبعة النجف.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص ٣٤٢ طبعة النجف.

محتويات الرسالة